دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الدراما المسرحية تكشف اشكالية الإرهاب وتدعو للسلام
المصدر:	فكر وإبداع
الناشر:	رابطة الأدب الحديث
المؤلف الرئيسي:	يوسف، فاطمة
المجلد/العدد:	ج44
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2008
الشهر:	ابريل
الصفحات:	47 - 98
رقم MD:	152423
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase, HumanIndex
مواضيع:	المسرحيات الانجليزية ، العنف، الارهاب، الدراما المسرحية ، المسرحيات الانجليزية ، الادباء ، شكسبير ، وليم ، التطرف الديني، وسائل الإعلام ، السلام العالمي ، النقد الادبي، الدراسات الادبية ، الاضطهاد السياسي ، الصراع السياسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/152423

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

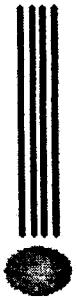

الدراما المسرحية
تكشف إشكالية الإرهاب
وتدعو للسلام

د.فاطمة يوسف (*)

مدخل :

منذ العصور القديمة وصور العنف والإرهاب وإشكالياته يدونها التاريخ كأحداث وحقائق وقعت في مجتمعات أوربية بعضها نتيجة حتمية للصراع بين الحكام والنبلاء لاعتلاء العرش، والبعض الآخر تولدت نتيجة ثورات لشعوب تطالب بحقها في الحرية والعدل والبعض الآخر كانت حملات استعمارية لاحتلال أوطان الغير .

ومن ثم عرفت الأجيال السالفة العنف والإرهاب من تلك الأمم الكبرى وتوارثته كقيمة من قيم أجدادهم وآباءهم .. وبعد أن كانت صور الإرهاب ترتكز على نبلاء الأمم، تبدلت صورته المعاصرة إلى صورة أفراد وجماعات متطرفة تسللت إلى الشعوب والدول، وتمركزت في مجاهل حتى لا تتصدى لها الدولة، وأخذت هذه الجماعات الإرهابية لها شكلا بعيدا عن التفاهم أو الحوار، لقد وجهت وسائلها المتفجرة الدموية للشعوب والدول بل ضد العالم

(*) أستاذ النقد الأدبي المسرحي المساعد – كلية التربية النوعية – جامعة بنها

أجمع محاولة فرض أفكارها ومعتقداتها على العالم بأسره بأساليبها اللاإنسانية وضرباتها غير المعلومة زمانا ومكانا .

ومع هذا الواقع المرير الذي فرضته تلك الجماعات بلا حدود أو استثناءات أصبحت تعيش الأمم الكبرى قبل الصغرى في هذا الواقع. وبدأت صيحات المنظمات العالمية تعلو وتدعو إلى تحدي هذا الواقع، واقع العنف والإرهاب بدعوتهم لثقافة السلام بين الشعوب ثقافة التسامح والعدالة والحرية، ثقافة الحوار المتبادل بين الحضارات بعيدا عن الانشقاقات أو التناقضات داخل المجتمعات ذاتها.

لقد علت الدعوة لثقافة السلام بين الشعوب تتضمن في خطابها تنشيط الخطاب الثقافي بينهم، وتبادل الآراء والأفكار من خلال الفكر الواعي والفن والإبداع بتنويعاته، على أن التفعيل الثقافي يتصدى للخطر الذي يهدد واقعنا اليوم، خطر يهدد الأمن والأمان للشعوب من وباء الإرهاب وليد وباء صراع الأمم الكبرى نحو التسلح في العلن والخفاء .

ومع انطلاقة دعوة ثقافة السلام، فإننا في أشد الحاجة للبحث عن الحلول التي تتضمن إجابات لتساؤلات جرينة من أجل تحقيق مستقبل أكثر أمن وأمان ـ هذه التساؤلات لا تطرح مباشرة ولكنها تطرح من خلال الإبداع الفني والأدبي .

" فالإبداع الفني في أي شكل من أشكاله لا ينبع من الخيال المحض، ولكن إذا كانت الفنون من أرفع أشكال النشاط الإنساني، فهي تنمو في التربة على أقل بروتينيات الحياة اليومية شأنا، وهي تتيح للبشر فرصة تأمل واقعهم وتبادل الرؤى بطرق جديدة. [1]

---

(1) التنوع البشري الخلاق : تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية / ترجمة المشروع القومي للترجمة المجلس الأعلي للثقافة. القاهرة ١٩٩٧ ص ٨٥ .

ويعد الفن المسرحي من أهم الفنون التي ترصد الواقع بكل قضاياه وهمومه، وبالخيال يرسم لهذا الواقع شكلا من الأشكال الفنية التي يجذب بها المتلقي. فالفن المسرحي يعد من أهم وسائل الاتصال الجماهيرية الثقافية والترفيهية، والأكثر التصاقا بالمجتمع، ويعد هذا الفن المسرحي من الإبداعات الإنسانية التي تكشف في خطابها وشكلها الفني عن المدى الذي آلت إليه الجماعات الإنسانية من فهمها واستيعابها للكون والعالم والقضايا المحيطة به .

فالفن المسرحي أكثر من غيره من الفنون ارتباطا بالحياة، فهو نشاط إنتاجي جماعي جدلي تتحول فيه الممارسات الإبداعية إلى ممارسة جماعية ومعرفية عبر عمليات الإرسال والاستقبال، فالمسرح هو المكان الذي يجتمع فيه من أجل المتعة والتفكير المشترك لكي نثير ذكرى ما مر بنا، ولكي يتسنى لنا أن نحكم بما هو قادم، ويلعب هذا المسرح دورا أساسيا في حياة الشعوب والقضية الجوهرية لا تدور إلا حول موضوع واحد كيف يمكن للفن والثقافة مساعدة شباب اليوم في إعادة تحديد مواقعهم والعثور على نقاط ارتكاز جديدة في عالمنا المضطرب .

وبالبحث في تاريخ الأمم عن صور العنف وبدايات ظهوره أين ؟ ومتى ؟ كان أهم مرجع للكشف عن هذه القضية هو التشجيع على قراءة التراث الإنساني للدراما المسرحية كمادة حية وصادقة في رصد الواقع وأحداثه ... ومن هنا كانت القراءة لبعض الأعمال الدرامية التاريخية للدراما عبر مر العصور وسيلة فعاله في رصد جذور العنف والإرهاب زمانا ومكانا تطرحها الباحثة للاطلاع عليها من خلال هذا البحث الذي تتبع فيه المنهج التاريخي في رصد إشكالية الإرهاب منذ ظهوره في العالم وذلك في الخطوات التالية :

أولا : مسرحيات تكشف صور التطرف في الغرب .

ثانيا : ثقافة السلام ومناهضة الإرهاب .

ثالثا : الدراما المصرية في مواجهة الإرهاب وذلك من خلال تحليل مسرحيتين (السلام للأطفال – وزهرة والجنزير) .

أولا : مسرحيات تكشف صور التطرف في الغرب

إن الحرب الباردة التي يشنها الغرب ضد العرب والمسلمين تحولت إلى حالة من التوتر بين الإسلام والغرب الذي جعلهم هدفاً للجماعات الإرهابية، فتعالت صيحات الغرب وأمريكا تعارض العرب والمسلمين في أنحاء العالم بدعوى إرهابيين، واكتسحت أجهزة الإعلام عند الغرب فكرة الترويج لسمعة المسلمين والإسلام بدعوى باطلة – وهنا وجب على العرب أن يكون لهم وقفة ضد دعاوى أوروبا ونطالبها بأن تعيد ذاكرة أوراق تاريخها عبر مر العصور في مواجهتهم للفاشيه والبلشفية كما لو أنهم يواجهون وحوشاً أوجدوها هم بأنفسهم، وحوشاً كان لها نصيب من غرس جذور الإرهاب مع غيرها من الموروثات البربرية، والحكام الديكتاتوريين في أوربا .. لو وضعناهم في السياق التاريخي للإرهاب سيشهد العالم بمدى الظلم والظلام الذي عاشته أوربا في العصور الوسطي تحت هيمنة العنف والإرهاب ... بينما العالم الإسلامي كان شعلة المعرفة والثقافة والبحث والتعبير، كل يتمتع به العلماء المسلمون، تلك هي الحقيقة للمجتمع الإسلامي الذي تراجعت هيبته وسلبت حضاراته وثقافاته منذ الحملات الاستعمارية على أوطانه، وتحول منطق الحوار في المجتمع الإسلامي إلى موقع الدفاع عن النفس حين يسمع الآخر وهو يتحدث على سجيته متهمين العرب والمسلمين بالعنف والإرهاب بتعصب شديد .. هذا الاتهام علينا مواجهته ومكافحته من جميع الأجيال ومن جميع الثقافات بالكشف عن أصولية الإرهاب الحقيقية للشباب. وذلك باستدعاء وقائع العنف والإرهاب التي ارتكبتها أوروبا أفرادا وشعوبا وقد كشف مؤلفو الدراما التاريخية حينئذ عن ذلك الواقع الدموي الذي سُجل في روائع الأعمال

المسرحية والتي تعتبر سجلا حافلا حيا لهذه الأمم. بما فيه من أحداث وصراعات وشخصيات واقعية وتحولوا إلى عناصر فنية استغلها كتاب الدراما في تقديمهم وتقديم واقعهم الحافل بالدموية .

فمن يدرس تاريخ المجتمعات محاولا الوصول إلى أعماقهم الفكرية والاجتماعية والسياسية لأي عصر من العصور السالفة، عليه الرجوع إلى قراءة الدراما المسرحية التاريخية، كمادة حية تقدم هذا الواقع بكل فعالياته الثقافية والاجتماعية والسياسية بل وسبر أغوار هذه المجتمعات والكشف عن سلبياتها وإيجابياتها، وحين نبحث عن جذور الإرهاب عبر وقائع العصور السالفة سنجد أعمالا درامية تعد مفتاحًا حقيقيًّا ونبته أساسية في ظهور الإرهاب وتطور تاريخه عبر العصور القديمة، أو العصور الوسطي التي تضع ظاهرة الإرهاب في سياقها التاريخي .

فإذا كانت ظاهرة الإرهاب التي تعيشها المجتمعات اليوم مبعثها أفراد أو جماعات متطرفة، فالإرهاب قديما كان أفراده علية القوم، أو كما عرف تاريخيا الرعب السياسي من أجل العرش .. وخاصة في العالم الأوروبي الذي جسد لنا في تاريخه السياسي هذا الرعب بصور دموية إرهابية في العصور الوسطي وما بين الحربين العالميتين، وعملت الدراما على تسجيل هذه الصور الإرهابية الدموية الحقيقية التي انتشرت بفعل الديكتاتورية أو العنصرية أو الأطماع الاستعمارية أو الأطماع الشخصية، كل سجلته الدراما المسرحية كمادة حية ترصد تاريخ هذه الظاهرة، وكإنتاج مشارك في التصدي للعنف والإرهاب الذي نبت وتطور في أوربا كما يقر هذه البداية النقاد .

" كان الإرهاب عنصرًا قوياً وفاعلاً في التراجيديا في عصر النهضة، التي تمتد جذورها إلى الرعب المتمثل في عصر " تيودور Tudor " في الدولة البريطانية، وبعدها يأتي الرعب المنظم الذي ظهر مع قيام الثورة الفرنسية ..

ذلك هو الأصل الفكري للرعب المنظم الذي نطلق عليه اليوم " الإرهاب " النبت الحديث للرعب". (٢)

ولأن المسرح تعبير عن الحياة، ولا نستطيع فصلهما، فكلاهما يتداخلان ويتشابكان. فإننا نجد المسرحيات العالمية وخاصة التاريخية التي قدمت على المسرح طيلة القرون الماضية، وتقبلها الحضارة كجزء من تراث عظيم، تكاد تكون كلها تهتم بسلوك رجال غير عاديين، أو نساء غير عاديات في مكانة ذات مسئولية عظيمة، رجال ونساء ذوو أخطاء ونقاط ضعف تراجيدية، وإن كانوا ذوي عقل وقوة يكفيان للغلبة في النضال ضد القوي الشريرة الموجودة داخل نفوسهم وخارجها أيضا، والمادة المعاصرة في أعمال المؤلفين يتصورون فيها مهمتهم كانعكاس خيالي لتجربة ما مر بها هؤلاء الرجال والنساء .

* إنجلترا والعنف السياسي :

من أوائل الكتاب المسرحيين الذين تناولوا أفعال العنف والإرهاب السياسي كان الكاتب " كريستوفر مارلو " عندما قدم مسرحية " تيمورلنك " ١٥٨٧، والتي جسد فيها شخصية الحاكم الهمجي والمغتصب للعرش، إنه لم يولد ملكا ولكنه صار ملكا بالعنف الذي مارسه بلا هواده أو رحمة ولا قدرته الغريزية على السيطرة على أخلاقيات رجال العصابات .

" ليس ثمة شك في أن تيمورلنك هو إرهابي عصري على درجة عالية من الكفاءة يفوق سواه من الملوك والحكام الشرعيين الذين يغتصب مناصبهم، وهم بنفس الدرجة عطشي للدماء ويتسمون بالوحشية والبربرية، ولا يمكن لنا أن نتحدث عن سوء استخدام تيمورلنك للقوة لأن مقدرة الطاغية على الحكم تقاس

---

(٢) الإرهاب والمسرح الحديث : جون أور وآخرون ، ترجمة / أمين الرباط مركز اللغات والترجمة. أكاديمية الفنون القاهرة ١٩٩٦ المقدمة بتصريف

بمدى قدرته على إيقاع الألم الزائد على الحد على أعدائه، إذ إن المعاناة هي الجانب الآخر للقوة ". [٣]

لقد رسم ماريو شخصية " تيمورلنك " من الواقع أو كما برز التاريخ مصمما على امتهان قيمة الإنسان لكي يعلم العالم أنه دون خوف أو عقاب، يتحدى القوانين الإلهية والبشرية، لقد استبدل احترام الخصم الذي يجب أن يتسم بروح الفروسية بالانحطاط والإذلال.

" فنحن نرى إمبراطور الأتراك آنذاك، يحبس في قفص يتغذى على فتات من مائدة الغازي " تيمورلنك" وأحيانا يستدعيه، تيمورلنك ليستخدمه كرسي يضع عليه قدميه كي يعتلي عرشه الذي اغتصبه، هذا هو الامتهان الحقيقي لقيمة الإنسان، ثم يلقي به في جب رطب كئيب أسفل القلعة التي استولي عليها وداخلها يقوم الجلاد بعمله في تعذيب وامتهان الملك التعس الذي يضرب ويعذب حتى الموت ". [٤]

ثم تأتي مسرحية " كريستوفر مارلو " الثانية " أدوار الثاني " ليواصل بها انبهاره بالعنف، ويتمعن بالفحص في آليات الرعب والإرهاب الصرف كأنما هي من وحي قوانين عادية طبيعية، كتلك التي تحكم العالم المادي ففي المسرحية يظهر الملك " أدوار الثاني " الذي كان يتسم بالعنف والإرهاب العاجز والمفروض قسرا على الشعب، هو نفسه الضحية حين يسجن ويعذب حتى الموت .

لقد رسم مارلو شخصية " أدوار الثاني " ضحية صديقة جانستون الذي أعاده أدوار إلى البلاد بعد نفيه إلى خارجها. وقد فعل أدوار هذا ضد رغبة

---

(3) Chiffard leech Christopher Marlawe : Poet for the stage (New York) A.M.S. Press 1986) 170 .

(٤) المسرحية العالمية : تأليف / الأردايس نيكول. ترجمة : عثمان نويه . القاهرة . الدار القومية للتأليف والنشر ١٩٦٦ الجزء الثاني ص ٣٢ ، ٤٣ بتصريف .

الكنيسة ورجال القصر – أما جانستون فقد كان رجلاً قويًا يتسم بالوحشية والاستبداد، ويفكر في السلطة التي يريد أن ينتزعها من الملك، وعندما رفعه الملك أخذ يثأر من كل الذين نفوه، وهنا ثار رجال الكنيسة وقرروا إبعاده من جديد، وعندما عاد إلى البلاد مرة أخرى قتله النبلاء، غير أن قائدهم الخائن " مورتمر " Mortimer ذلك الداهية الطموح الذي لا يرحم شخصية الملك المنهار الضال الذي علته مسحة من جلال الشخصية، ولكن تردده أودى به إلى التهلكة، فقد ظل ممددا في جب كئيب أسفل القلعة يقوده الجلاد بآلته البشعة قضيب حديدي شديد الاحمرار ليعذب به الملك المنهار التعس حتى يذهب إلى حتفه بائسا ".[٥]

إن شخصية الجلاد في مثل هذه الأعمال هي رؤية مستقبلية أو نبؤه بأساليب البوليس السري وابتكاره لأساليب التعذيب في الأزمنة المعاصرة .

إن مسرحيات " كريستوفر ماريو " كانت دافعا لشكسبير أن يقدم لنا مسرحياته التاريخية التي ستزودنا بمادة هائلة عن صور الرعب والإرهاب، أو كما يقول النقاد المحدثون" أن موضوع هذه الأعمال المسرحية مرتبطة ارتباطا وثيقا بفلسفة أسرة " تيودور " المالكة التي تجلت في عصرها العنف والإرهاب ".[٦]

قدم شكسبير عن هذه الأسرة المالكة الثالوث المسرحي التي صور من خلالهم جذور الإرهاب المرتبطة بالأسر الحاكمة، والتي نشبت بين فصائل النبلاء حتى يشيع الفساد في العلاقات الاجتماعية كما ظهر في مسرحية (هنري السادس) التي قدمها شكسبير في ١٥٩٢ .

---

(٥) المرجع السابق ص ٣٥

(٦) المرجع السابق ص ٣٦

" تلك المسرحية التي رفضها النقاد المسرحيون لما تجسد فيها من أعمال فجة ودموية، ولم يطور شكسبير الشخصيات بقدر كاف بعد تجربة ارتكاب الجرائم البشعة والفظائع في منتصف القرن العشرين باعتبارها مسرحية ترسم خريطة لمنظور الإرهاب في المسرح السياسي وسيرته الحتمية ". (٧)

كما يرى بعض النقاد " أن ما برز من سلوكيات هنري السادس الفاضحة لشخصيته والتي أحاطها الخداع والاحتيال، وهذا يتضح من أوامره الساخرة الدموية بقتل أسرى الحرب، فتظهر هذه الشخصية كقاتل بلا رحمة. " أنه قاتل لا يخالجه أدني خوف، يلعب دور البطل القومي بصورة شديدة السخرية . (٨)

لقد رأى النقاد أن شكسبير في مسرحياته التاريخية لم يستطع أن يتصور الأسر الحاكمة أو رجال السياسة ليس بالإرهابيين فكثيرا ما يضفي على صور هؤلاء الحكام ما يستحقونه من مديح نغمات باردة تحتية من الإرهاب .

فإذا كانت هذه النغمات الصورة الإرهابية " لهنري السادس " فإننا نجد الصورة الثانية "لريتشارد الثالث ١٥٩٣ " في هذه المسرحية " نجد شكسبير يرتكز على شخصية رجل واحد وإبراز هذه الشخصية ببعدها الشيطاني وإبراز شروره ودناءته مما يؤدي به إلى تحطيم ثقته بنفسه ويسحقه في النهاية. (٩)

لقد كان " ريتشارد الثالث " يبعث بعدد من أصدقائه وأعدائه إلى المشنقة ليخلق جوا من الخوف والريبة من خلال الحكايات والشائعات كما يحرض الأخ ضد أخيه، وطائفة ضد أخرى، وبهذه الكيفية يدفع ريتشارد بالملك أدوار

---

(٧) الإرهاب والمسرح الحديث : مرجع سابق ص ٦

(8) Gerald Could, Trony and Satire in Henry VI in Shakespeare : Henry VI : A Casebook (Neshiville : Hurara 1970) 81

(٩) المسرحية العالمية الجزء الثاني : مرجع سابق ص ٣٧

الثاني إلى السجن ثم يأمر بقتله سرا، ثم يتحلى بكل الحيل الوصولية النفعية لإقناع عمدة لندن ومواطنيه بقبوله ملكا شرعيا .

" لقد أجاد " ريتشارد الثالث " الحيل من أجل اعتلاء العرش والاستعانة بكل الأساليب العصرية الإرهابية في مجال العنف السياسي، وإثارة الغوغاء والدعاية العدائية المضادة، ومن تلك الأساليب تلطيخ سمعة المنافسين، والاتهامات الملفقة، وإزاحة الخصوم، والوعود الكاذبة، واتهام الموتى في قبورهم، وأحكام الإعدام التي تصدر قبل المحاكمة وتنظيم المظاهرات وغرس الحماس بطريقة منظمة، وإثارة الأزمات وافتعالها وإعلان حالة الطوارئ مفتعلة ومن ضمن هذه الأساليب التظاهر بالتقوى والورع". (١٠)

إن الأحداث في مسرحيتي " هنري وريتشارد " تتحرك فيهما تدريجيا ثم لا تلبث أن تتحرك بسرعة ووحشية من نظام الفروسية القديم إلى نظام حديث شريعته الوحيدة هي الرعب السائد، ويضيع في دوامة الرعب والعنف مغزى ودلالة الحق القانوني والأخلاقي من أجل اعتلاء العرش، ومن الأمور ذات الخطر المحوري ما يصنعه الإرهاب بإفساد العلاقات الاجتماعية كما هو في " هنري السادس وريتشارد" الزوج والزوجة، الأخ وأخوه ، الأب والابن .. كل منهما يقف ضد الآخر، ومع مقتل المستشار الذي يجسد السلطة القانونية التي تنهار بعد مقتله وتنطلق قوى الإرهاب المتنافسة من عقالها .

إن شكسبير في أعماله المسرحية التاريخية يعرض العنف الناجم عن أنه نتاج مباشر وصورة عاكسة لإرهاب الدولة. ومن ثم يصبح تمرد الغوغاء عند إقامتهم لمدينتهم الفاضلة مثارا للسخرية والتهكم، وخلق حكومة جديدة تسير على غرار الحكومة القديمة في أسلوب عملها. ومع انتشار مفاسد النظام

(10) Elia Halevy, The Era of Tyrant mies Trans R.K. Webb (New York) New York University 1966) 266 .

وتدهوره، أخذ العمال موقفا ضد المجتمع ومفاسده، ولكي يقضوا على المظالم والمفاسد كان لابد من تدمير سلطة القانون والنظام، وذلك نتيجة طبيعية لانحراف العدالة عن المجتمع .

ومن ثم انطلقت ثورة جاك كيد Jack Cade مع العمال تحت شعار " نحن الشعب والموت لمن يخالفنا " وسارت جماعات جاك كيد على نهج الحكام يقلدونهم في نشر الإرهاب بين مواطنيهم سكان لندن، يقتلون الناس بصورة عشوائية وهم في حالة تمرد على السلطة .. فقد قرر جاك كيد وأتباعه قلب كل شيء إلى نقيضه، أن يقتلوا القضاة، ويدمرون الكتب ويجعلون من معرفة القراءة والكتابة جريمة لقد أصبح القضاة عمالا، والعمال قضاه .. فقد سعى جاك كيد إلى إلغاء الفوارق الاجتماعية بين الناس. والقضاء على سلطة القانون والنظام. كان تمرد يسير على نهج نبلائهم، ولكن بأسلوب فوضوي. ووضع جاك كيد شعاره الإرهابي "اقتل واهدم " يضاهي ما أدركه " ريتشارد " بدقة عند اعتلائه العرش حيث يقول : " الأمراء يقتلون الناس ". (١١)

إن مبدأ جاك كيد القائل " نحن نحترم النظام عندما نكون خارج هذا النظام تماما، يصف بدقة حالة اتباعه التي تتسم بالفوضى، وكذلك صراعات الأسر الحاكمة، وخياناتهم وتحويل ولاءاتهم من شخص إلى آخر، إن الفظائع التي ترتكبها الغوغاء في ثورتها يوازيها ويقابلها على الجانب الآخر ما تمارسه الطبقة الحاكمة من انتهاك حرمة الجثث وقتل الأطفال من أجل الانتقام وإذلال وتعذيب الأسري. (١٢)

إن جاك كيد بهذه الشعارات والمبادئ الفوضوية في عصره قد وضع أمامنا صورة واقعية معاصرة لما يحدث من فظائع عنف وإرهاب تعيش فيه شعوب

---

(١١) الإرهاب والمسرح الحديث ص ٨ مرجع سابق .

(١٢) المرجع السابق ص ٨ .

عربية اليوم، مغلوبة على أمرها من وطأة محتل جديد في ثوب جديد يدعي الديمقراطية والحرية، بينما يمارس على هذه الشعوب العنف والإرهاب، وبالتالي انقلب الحال داخل هذه البلدان وسارت شعارات "اقتل واهدم" هي مبدأ ثورتهم ضد هؤلاء المغتصبين .

فإن كان القتل في عصر جاك كيد هو فصل الرأس عن الجسد وتعليقها على حربه ليعبر عن الانتصار لهم، فإن إرهابي اليوم ابتكروا العنف والإرهاب بالمتفجرات في كل مكان وفي أي زمان يختاره هو، " لقد اعتبر التاريخ عنف القتل في عصر جاك كيد صورة إرهابية ناتجة عن تقليد نهج النبلاء في قتلهم للابرياء أو السياسيين منذ عصر أسرة تيودور الحاكمة في العصر الاليزابيثي .

إننا هنا نستعرض عينة من الدراما التاريخية التي تدور حول العنف والهمجية في أوربا، يرسم من خلال مضامين هذه الأعمال مدى القسوة والعنف من الحكام أو الثورات الشعبية التي مروا بها عبر مر العصور .

ويصف "توماس مورى فن السياسة " بأنه لعبة الملوك التي يمثلونها على خشبة المقصلة في معظم الأحيان، وعلى تلك المفصلة يلقي العالم الإنساني أو رجل الدولة حتفه في النهاية باعتباره ضحية من ضحايا الإرهاب) [١٣]

إن ما سبق تقديمه من النماذج السابقة من الدراما المسرحية التاريخية في إنجلترا هي بعض منها كنماذج تتعرض لإرهاب الدولة، محاولا مؤلفيها كل من " مارلو أو شكسبير" أن يبرزا نظرتهما لأولئك الحكام الإرهابيين بمزيج من الفزع والرعب والرهبة لما اتصفوا به بأنهم نبلاء بلا هوادة أو رحمة لديهم ومن ثورات دامية كرد فعل للظلم والواقع على الشعوب.

---

[١٣] الإرهاب والمسرح ص ١٠ .

هذه الأعمال الدرامية التي امتلأت بالأحداث الدموية عند تقديمها على خشبة المسرح كان المخرجون يستبعدون المشاهد الدموية حرصا على مشاعر الجمهور .. ومن ثم كانوا يروون الحدث أو يشار إليه .. بينما استغلت السينما هذه الأحداث الدموية في أفلام عالمية نالت إعجاب الجماهير، مازالت تعرض حتى يومنا هذا وشاهدة على هذه العصور السالفة .

*** فرنسا والثورة الدموية :**

بدأت طقوس الرعب والإرهاب في فرنسا تظهر مع بدايات الثورة الفرنسية، تلك الثورة التي عرفت بأنها ثورة دموية إرهابية عصرية لها سلطتها المركزية، لقد حدثت هذه الثورة الشعبية معني الرعب والإرهاب، وأعطت هذا المصطلح مغزاه العصري وصاغت كل المفاهيم المستقبلية الخاصة به .

لقد كان الرعب والإرهاب مع قيام هذه الثورة هو الأداة التي يمارسها الشعب بكل إرادة وسيادة حينئذ، فقد استولت العناصر الشعبية على الثورة التي أقامت نظامها على أساس أيديولوجي زائف ينتصر العنف فيه على أي فكر عقلاني أو إنساني .. لقد اخترعوا مقصلة لعقوبة الإعدام نصف أتوماتيكية لتنزل العقوبة بإنسانية وبلا ألم هذا في عقيدتهم، مما جعل القتل عملية آلية والجلاد فني يقوم بتشغيل آلة القتل .

لقد أصبح القتل في شوارع فرنسا مشروعا عاما شارك فيه جميع المواطنين ضد النبلاء والطبقات الارستقراطية، إنه مهرجان الدم الذي أطلق فيه العنان للأحقاد والمظالم التي تمر عليها قرون طويلة .. وتحول العنف والإرهاب حينئذ حفلة مجون ضخمة كؤوسه دماء الضحايا

وفي ١٧٩٤ ظهرت ردود أفعال ضد هذه الأيديولوجية المتطرفة في ثورتها الدموية، وكان لابد من التصدي لها من خلال رجال الشرطة الذين

انتقل على أيديهم أساليب الإرهاب لهؤلاء الثوريين فتراجعت أحكام المقصلة التي أصبحت رمزا في الثقافة الشعبية في فرنسا على جميع المستويات .

ولم يكن للمسرح أن يترك هذه الثورة دون تناولها دراميا، فقد ظهر أول عمل درامي في أوربا يتناول الثورة الفرنسية من تأليف " بوشنر Buchner " وهو " موت دانتون " ١٨٣٥ الذي اعتقل سياسيا وهدد بالقتل، وتصور هذه المسرحية الجو الذي يشبه الكابوس المشوب بالقلق والخوف الشديد الذي يصاحب الإرهاب وإحساس الشخصية المحورية بالعجز والعزلة التي تجرف كل الشخصيات. ففي هذا العمل الدرامي تستلم الفردية لإرادة اجتماعية واحدة يمكن أن تخدم المجتمع ككل، إن المؤلف في هذا العمل الدرامي يصل بدافع الإحساس بالعجز والإحباط إلى نتيجة مؤداها أنه إذا كان ثمة شيء يفيد وله جدوى في عصرنا هذا فلاشك أنه العنف". (١٤)

لقد فقد المؤلف " بوشنر " شأنه شأن بطله " دانتون " الإيمان بقوة العمل الثوري وقدرته على إحداث تغيير جوهري يحملنا إلى مدينة الأحلام، ولكنه يستسلم في وجه تلك القوى اللامنطقية التي انطلقت من عقالها، لقد وصل إلى طريق مسدود لا يساوي " .

إن المؤلف في وصوله إلى هذا الطريق المسدود في مسرحيته يعتبر وسيلة للتعبير هو جوهر المعني بصورة طبيعية وصورة رمزية للجو الذي تدور فيه الأحداث أو واقعية هذا المجتمع وما ينسجه من أحداث ترسم ملامح الطريق المسدود في المسرحية التي تظهره بصورة منطوقة ومحسوسة، فهذا المجتمع الثوري المخيف والمرعب والذي يلحقه الدمار قد يخلو تماما من الأمل، إنها إدانة للإنسان في هذا العالم المخيف في هذه اللحظة الراهنة. فالإنسان في عصر من العصور هو خلاصة الأفعال الحاضرة .

---

(14) Uniliam, C. Reeve , Gearg Buchner (New York) Ungar 1979 .

* روسيا وقبضة ستالين الحديدية :

مع بدايات القرن العشرين ونشوب الثورة الإرهابية في روسيا على يد لينين ثم ستالين وما فرضه من أحكام ديكتاتورية حتى لقب بالحاكم الإرهابي .

فمجال الإرهاب ومظاهره المتعددة تلك المظاهر التي في صراعاتها العنيفة بهرت الكتاب والمثقفون فجعلوا منها بؤرة اهتمام في مؤلفاتهم الدرامية [١٥] .

"إن التفاعل بين رجال الثقافة والدولة الإرهابية في فترة ما بين الحربين أمر بالغ التعقيد ومتغير بحيث لا يمكن اختزاله في صيغة واحدة، وقد أوضحت " هاناه ارندت "هذا التفاعل في كتابها" جذور النظم الشمولية " وفيه علقت على آراء هتلر وستالين في الفن واضطادهم للفنانين ". [١٦]

إن الحرب الأهلية في روسيا ١٩٢٠ كانت تهدد النظام البلشيفي وآثارت الرعب والإرهاب بمبررات عديدة أهمها " إما أن تحطم الأعداء وإما أن تتحطم أنت " إن هذه الثورة البلشفية تذكرنا تاريخيا بالثورة الفرنسية الدموية التي حفلت بمهرجانات دموية شعبية أقامتها أمام أداة القتل (المقصلة)، بينما الثورة البلشفية وإرهابها الدموي الذي كان يتم سرا، أي أن القتل كان يتم سرا في البدرومات دون دفاع المتهم عن نفسه .

إن نجاح الثورة البلشفية في روسيا كان متوقفا على السلطة الديكتاتورية والرعب الأحمر. بعيدا عن العاطفة والكرم مع الأعداء مما أدى إلى ذبح الآلاف في " الأسبوع الدموي" من شهر مايو دونما هوادة ولا رحمة بأعداء الكوميون (أفراد الثورة العمالية) .

---

[١٥] الإرهاب والمسرح ص ١٣

(16) The Origins of Totalilarianism (Cleve Land Meridian 1967) 355.

وقد قال " تروتسكي " عن الرعب والإرهاب الذي مارسه السوفيت أثناء الحرب الأهلية " إننا نثأر وننتقم لفشل الكوميون الذيم لم يتحلوا بالقسوة الكافية في فرض الرعب وسحق أعداء الثورة .

ومن أهم المسرحيات التي عبرت عن هذه المرحلة وتناولت الدفاع عن قضية الشيوعية مسرحية بريخت " أيام الكوميون " ١٩٤٨ " فقد رسم شخصياته في المسرحية تتسم بالوعي الشديد بالحاجة إلى مقاومة الفشل. " فاتخذت المسرحية منحى إيجابيا والخيارات المطروحة أمام شخصياته إما المقاومة وإما الدمار، إن حرق المقصلة رمز الإرهاب علنا والفشل في الاستيلاء على بنك يعد أمرا انتحاريا. وجعل من الشخصية المحورية شخصية تتحدث باسم المقاومة تعبر عن الأيديولوجية الصحيحة بلا ألوان : الرعب لا يواجه إلا بالرعب وإذا لم تظلمون فسوف تظلموا وإذا لم تسحقوا الأعداء فسوف يكون مصيركم هو أن يسحقوكم هم ... إني إلتمس السماح لي باستخدام الإرهاب لمحاربة الإرهاب ". (١٧)

هذا التطرف المخيف في الدفاع عن ثورته أو مجتمعه كنوع من فعل مضاد ضد إرهاب الدولة هو نوع من الفناء الأعمي لأناس كثيرين، إن مثل هذا التطرف من قاتله يظن أنه يولد لمجتمعه السلام، فأي سلام أو حياة تولد وسط الدماء، فأي عنف هذا الذي يتستر وراء مثل ومبادئ ثورية نبيلة وشعارات مؤثرة .

إن النماذج التي تعرفنا عليها من خلال بعض الأعمال المسرحية التي ترصد صور العنف والإرهاب الدموي التي كانت أحد طرفي الصراع ومعارضي هذا الصراع، في عصر النهضة والعصور الوسطي فقد، وكان

(17) The Days of the communes Trans Chins Bochr and Armo Reinfrank (London Eyre Methuen 1978) 74 .

الفن الدرامي يضع في اعتباره تمثيل هذا التاريخ بصورة حقيقية مع المحافظة على القيم الجمالية، فمن المعروف أن المسرح يقدم حياة الإنسان في الكون مما جعل من هذا المسرح عاملاً من العوامل التي تؤدي لتفهم التاريخ، ففي العصور المتقدمة قد تبدل شكلا، فقد أصبح العنف وإرهاب الدولة على المجتمع الصامت. فهذا المجتمع يتعرض لخطر أكيد عن جراء القمع كنتيجة لطبيعته الجماعية والعامة ..

وفي زمن ما بين الحربين ظهرت مسرحية " دكتور نوك " ١٩٢٣ للكاتب " جولز رومينز " وتعد هذه المسرحية من أهم ما قدم من مسرحيات تعبر عن إرهاب الدولة، ولكن في صورة جديدة، فقد اعتنق مؤلف المسرحية فكرة إرادة فرد واحد على المجموع، فقد كان مبهورا بفكرة الحاكم الديكتاتوري، وقد اعتبر النقاد أن مسرحية دكتور نوك التي ظهرت ما بين الحربين العالميتين تتنبأ بالكثير مما يمكن أن يحدث مستقبلا، وهذا العمل موجه إلى الدول الرأسمالية والاشتراكية وكيفية السيطرة على كل فرد من أفراد المجتمع .

ففي مسرحية " دكتور نوك " من خلال تملكه زمام أساليب الدعاية العصرية والتربية العقائدية من إرهاب مجتمع بأسره وجعله خاضعا لإرادته، وهو يفعل كل ما يستطيع لصالح مرضاه بأن يجعلهم يدركون أن الإنسان الصحيح هو في الحقيقة إنسان مريض، ولكنه لا يدرك إنه مريض، لقد تمكن دكتور نوك بإرهابه الطبي خلق مجتمعا عصريا منظما ". [١٨]

إن فكرة العنف والجلاد ظلت تشغل ذهن الكتاب والمثقفين وتوالت أعمالا التي تتناولها من حين لأخر فقد ظهرت مسرحية " الجلاد " في ١٩٣٣ لكاتب المسرحي "باليجركفت" Parlager kviat التي تناول فيها شخصية الجلاد عبر

---

[١٨] الإرهاب والمسرح ص ٢٤ .

العصور وما يحيط به من رهبة وخوف، أنه يرمز إليه بمعبود الجماهير المنومة مغناطيسيا ".[١٩]

الأدب الملتزم والنظرة التشاؤمية :

في نهايات الحرب العالمية الثانية وظهور الفكر الوجودي الذي ظهر على يد بول سارتر ١٩٤٧ وآثار من خلالها قضية الأدب الملتزم الذي يفرض على الأديب وضع إبداعه في خدمة مجتمعه ووطنه، وعرف الكتابة بأنها اتخاذ موقف سياسي إزاء العالم، وبأنها عمل نضالي يساهم به الأديب في صنع التاريخ .

وفي هذه الفترة ظهرت أهم أعمال سارتر المسرحية " الأبواب المغلقة " التي قدم فيها كيف يبدو الإنسان جلادًا للآخرين، وشخصية أنيسيس التي لا تقنع إلا بإيلام الآخرين .. والبعض يرى أنها نظرة تشاؤمية لسارتر في علاقة الإنسان بالآخرين، إلا أن مسرحه قد ولد في عصر المقاومة الشعبية وما تبع ذلك من وحشيه استعمارية وألوان الخيانة بين الفرنسيين أنفسهم، مما جعل مسرح سارتر يستنشق هواء الحرب والقتل والتعذيب، ويفوح بجميع حروب الإذلال التي توجه روح الإنسان وجسده وسعادته .

كما تظهر مسرحية البير كامي " الحصار " والتي تناول فيها نقد للمساوئ المشتركة بين النظامين الفاشي والشيوعي، والتي يخلص فيها أن الإنسان إما أن يعدل عن الرغبة في حياة كريمة مفضلا الاستسلام إلى اليأس، وهي تجنح إلى العدمية التي آمن بها كامي والتي تدعو إلى الإيمان بلا شيء سوى العمل والحركة الدائبة حول سحق الأعداء الجدد " وقد كان هذا المبدأ إنتاج آلية الغزو والقمع التي وجدها كامي في إرهاب دولة هتلر .

---

[١٩] المرجع السابق ص ٢٥ .

ويوضح ارنست فيشر في كتابه ضرورة الفن مذهب العدمية قائلا : " أن العدمية ليست مجرد إبراز البشاعة والقسوة والعنف، فهذه مهمة سهلة للغاية يستطيع أن يؤديها أي شخص على قدر من الوعي والإدراك السليم، ولكن الأديب العدمي هو الذي يخترق الطبقات المتكلسة للبشاعة والقسوة والعنف كي يفسح أو يشق الطريق لإرهاصات الميلاد الجديدة". [٢٠]

إن التزام الأديب باتخاذ موقف إزاء ما يحدث يتخلله رؤية ما تفتح نوافذ الميلاد الجديد للمجتمعات المتضررة من العنف والقسوة الإرهابية وخاصة المجتمعات المعاصرة التي تزدادُ فيها حدة العبث واللامعقول كسمة سائدة تميز العلاقات في هذا العصر، " ففي ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى استخدم المحللون النفسيون تعبير " مزق نفسيا " لوصف الحالة التي وصل إليها المجتمع الألماني في ذلك الوقت، والتي كان من سماتها فقدان إرادة الحياة وفقدان الأمل، وفقدان الهوية في مجتمع أصبح الفرد فيه جزءا من الآلة الحربية التي صارت تهدد الحياة في مثل هذا المجتمع الممزق نفسيا ". [٢١]

وأصبحت الصورة السائدة في غالبية المسرحيات المعاصرة تدور داخل المستشفيات أو المصحات العقلية أو السجون مصورة إرهاب المؤسسة إلى تصوير حالة التأزم الاجتماعي والروحي، تلك المؤسسة الإرهابية هي رمز المجتمع والإنسان داخل هذه المؤسسة يحاول الكاتب أن يبرز حالة التأزم داخل الروح الإنسانية داخل مواقف مختلفة إلا أنها في النهاية تصل إلى الطريق المسدود. فهذه المؤسسات التي تقضي على أي معني من معاني الأمل نحو تحقيق الذات .

---

[٢٠] ضرورة الفن : ارفست فيشر. ترجم : ميشال سليمان. بيروت دار الحقيقة للنشر ص ١٠٦ ، ١١٠ بتصريف .

[٢١] المسرح المعارض : بيتر أيدين. ترجمة : حامد أحمد غانم . مركز إصدارات المهرجان القاهرة التجريبي. الدورة ١٩٩٦/٨ ص ١٦

وتعتبر مسرحية " ماراصاد " لبيتر فايس من المسرحيات المعاصرة التي يبرز من خلالها الإحساس بالوحدة النفسية وذلك من خلال مجتمع حقيقي يشعر بالكبت (داخل المصحة العقلية) وهذه المسرحية تنقل أدق التفاصيل للحياة داخل هذه المؤسسة التي كانت مفاجأة تامة للجمهور فشخصيات مارا وصاد من الشخصيات الديالكتيكية، يدور الصراع فيها بين العقل والمادة، فكلما استعد مارا أو صاد لإلقاء بعض الجمل التي تحمل موقفا فلسفيا تنفتح أبواب جهنم فتظهر الشخصيات حالات من الجنون والجلجلة، وقد يتحول أحيانا إلى مواجهة جسيمة بين المرضى وبين الحراس، ويقوم بيتر فايس بوضع نهاية للمسرحية تعكس التمزق ومن سيفوز في هذه المسرحية .

ويشير بيترفايس بهذا الرأي حول مسرحيته : " بأنه استخدام المصحة العقلية عن عمد كعالم مصغر، والمسرحية في صورتها الأولى تجربة شخصية بالنسبة لي، فمن أحد الجوانب اعتقد أنه من غير الممكن تغيير كل شيء في المجتمع، ولا تستطيع أن تغفل شيئا إزاء ذلك، والأمر يشبه الجحيم على أي حال، ومهما تفعل سيتطور الأمر حتى يصبح كارثة وهذه هي وجهة نظر صاد". (٢٢)

إن مسرحية مارات صاد تصور معاناة الإنسان صاحب الفكر أو موقف نابع من خبرة الوجود، فعلى هذا الإنسان أن يعيش معاناته داخل ذلك المكان اللعين الذي يتطلب العزلة والوحدة وتحمل كل أساليب التعذيب الإرهابية .

واليوم ومن واقع حياتنا مازال يمارس هذا التعذيب النفسي للمعتقلين في معتقل جوانتامو ... أليس هذا واقعا حقيقيا نعايش أحداثه وممارسته الإرهابية في تعذيب هؤلاء المعتقلين الذين اعتقلوا واتهموا باتهامات باطلة ولم يدافعوا

---

(٢٢) المسرح في طريق مسدود. كارول روسين. ترجمة : محمد لطفي نوفل. إصدارات المهرجان التجريبي القاهرة . الدورة (١٢) ٢٠٠٠ ص ١٣٧

عن أنفسهم .. وبلا شك سنجد مستقبلا أعمالا درامية تجسد هذا التعذيب النفسي الإرهابي من قبل جلاديين تابعين لحكومة دولة عظمى في القرن الواحد والعشرين، أليس هذا يؤكد توارث الأجيال في أوروبا وأمريكا قيم العنف الدموي الذي مارسه من قبل آباؤهم وأجدادهم منذ العصور الوسطي .

مسرح العبث وأسلحة الدمار الشامل

دعنا نعود إلى حالة العبث هذه التي قد ازدادت جنونا، وذلك بظهور نظامين اجتماعيين مختلفين لكل نظام أيديولوجية خاصة، وكل منهما يقف تجاه الآخر مدججة بأسلحة الدمار الشامل، الأمر الذي يجعل المواجهة بينهما لا تدع مجالا لظهور المنتصر، بل تؤدى حتما إلى تدمير العالم بأسره، ثم شاعت فلسفة : " أن القدرة على البقاء تعني القدرة على الدفاع عن النفس، والدفاع عن النفس صار أكبر خطر يهدد البقاء، ثم صار الكل يرى أن إحداث التوازن في الإرهاب المتصاعد عن القوتين العظمتين هو الذي يحفظ السلام المزعوم" [٢٣] وأمام هذا الواقع الجنوني من هاتين القوتين كان للدراما دور في تقديمه برؤى تفيد في النهاية المرتقبة لهذا العالم والكارثة المنتظرة.

لقد قدم صمويل بيكيت أعمالا درامية تلقي الضوء على هذا الموضوع إلا وهو النهاية المرتقبة والتي لم تعد يقصد بها نهاية الفرد، بل النهاية لكل شيء، هذه النهاية التي انبثقت عن الوضع العام أحدثت تغييرات جذرية في سلوك الأفراد، كما أن معظم الصيغ التي وضعها التاريخ الحضاري لنهاية العالم والتي لها انعكاساتها في الأدب والفلسفة ما هي إلا صورة لكارثة العامة. ولكن لم يحدث أبدا في التاريخ من قبل أن كانت وسائل الدمار الشامل أو القنبلة

---

[٢٣] المسرح المعارض : مرجع سابق ص ١٦

الذرية إحدى صور الإرهاب والموت الذي يتربص بكل شيء ليس فقط من جراء التفكير في نهاية الواحد منا، بل من جراء التفكير في نهاية البشرية".[٢٤]

ولعل ما حدث مع سبق الإصرار والترصد من أمريكا في نجازاكي وهيروشيما بإلقاء القنبلة الذرية عليهما وما ترتب على هذا الحدث من موت وتشويه جسدي ونفسي هو دليل قاطع على تمسك القوى العظمي بالقهر والاستبداد في مظهر القوي للهيمنة على البشرية والعالم .

لقد كان لحالة العبث الإرهابي هذه التي اجتاحت العالم والحياة انعكاساتها في كافة ضروب الفنون، ففي الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ظهر مسرح العبث على الدعائم التي أرساها مؤلفون من أمثال بيكيت وآدامون ويونسكو، إن معظم هؤلاء المؤلفين العبثيين ضحايا ظروف أفقدتهم توازنهم النفسي، فصاروا نهبا للرؤى الغريبة والكوابيس المفزعة وحياة العزلة .

إننا هنا نعيد للعالم الغربي ذاكرته بقراءة تاريخه الإرهابي الدموي، ذلك العالم الغربي الذي يوجه أصابع الاتهام اليوم للعرب والمسلمين بأنهم إرهابيون، اتهام باطل، والعرب والمسلمون بريئون منه، فمنهم شعوب مقاومة ضد القهر والظلم والمغتصب، بينما الدراما المسرحية التي قدمت عبر مر العصور تدين العالم الغربي بأنهم أصحاب بنية الإرهاب الحقيقية عبر العصور. إنهم أول من مارسوا العنف والإرهاب الدموي حكاما وأفرادا، هم من علموا شعوبهم التعامل معهم بأساليب إرهابية، تشبهوا بحكامهم واستعانوا بالعنف كسبيل لاسترداد الحقوق المسلوبة عبر العصور وأيضا هو السبيل الوحيد للأخذ بالثأر ممن يضطهدونهم .

ومازال حتى يومنا هذا العالم الغربي يمارس قهره وعنفه الإرهابي على الأبرياء .. إنهم يمارسون التعذيب النفسي على هؤلاء الأبرياء للمعتقلين في

---

[٢٤] المسرح المعارض . ص ١٧ بتصريف .

معتقل " جوانتانامو " وسجون العراق وأفغانستان.. واقع حقيقي نسمع ونرى أحداثه وممارساته الإرهابية في تعذيب هؤلاء المعتقلين الذين اعتقلوا دون تهم أو دون الدفاع عن أنفسهم .. فقد جندت دولة عظمى جلاديها لتعذيب هؤلاء المعتقلين، تعذيبًا بدنيًا ونفسيًا وذلك على مسمع ومرأى العالم بأسره الذي يقف صامتا أمام هذه الدولة .. ولاشك أن الفن سوف يسجل لنا أعمالا تجسد معاناة هؤلاء الأبرياء.

أمريكا وفعل الإبادة من أجل الهيمنة :

واليوم ونحن في القرن الواحد والعشرين وممارسات أمريكا المتواصلة بشراستها وقهرها للشعوب بل إبادتها للشعوب تحت شعارات الحرية والديمقراطية .. تعالَ معي .. نتذكر تاريخها الإرهابي منذ نشأتها في القارة الأمريكية وإبادتها لشعوب القارة " قبائل الهنود " السكان الأصليين للقارة الأمريكية، كذلك العنصرية الفجة التي مارستها على السود الذين اعتبروا جنس العبيد للرجل الأبيض .. القنبلة الذرية على نجازاكي وهيروشيما التي أبادت شعبهما .. وما تبقى من البشر هم بقايا بشرية مشوهة الأبدان والعقول لهول الفعل الواقع عليهم .

الحرب على فيتنام الذي استمر سنوات وسنوات ولم تجنى أمريكا منه إلا الخسارة المادية والبشرية لجنودها .. واليوم حروبها على أفغانستان والعراق .. والممارسات التي تتصف بلا عدل ولا حرية ولا ديمقراطية إنها تتصف بالوحشية والدمار والنهب وسرقة الحضارات والسجون السرية التي تمارس فيها التعذيب للآخرين، وشاهد على ذلك أحداث سجون العراق سجن " أبو غريب " كذلك فعلها الفاضح بكل معاني العنف الإرهابي أيضا سجن " جوانتانامو " الذي يطالب العالم أجمع بإغلاقه للقهر والتعذيب النفسي الممارس على متهمين بلا تهم أو محاكمات .. إنها تثبت جدراتها في إبقاء هؤلاء المعتقلين كأسرى عندها بلا منطق عقلي لأسرهم وشعوبهم، حتى أختفي

دواخل هؤلاء أي بارقة خلاص أو أمل في الخلاص، إن هذه الحروب التي تشنها أمريكا بما يشملها من حياة عسكرية وساحات قتال والشجاعة التي يبديها الجنود تستعرض به أمريكا قوتها المدججة بالسلام بروح المغامرة .. هو تصوير للحياة المتطرفة في عالم العسكرية..

ونقدم بعض النماذج من الأعمال المسرحية التي تناولت موضوعاتها من الحروب والشخصيات العسكرية والحالات النفسية التي يعيشها الجنود في حروب كفيتنام وغيرها .. وما على هؤلاء الجنود سوى طاعة أوامر السلطة .

ومن هذه المسرحيات مسرحية ارنولد ويسكر " بطاطس تشيبسي" التي تدور أحداثها حول لحظات الحياة التي تجري وسط الموت بصورة حرفية أثناء المعارك الذي تجسد لهم صورة من الرعب، فتقوم الشخصيات في المسرحية بعدد من ردود الأفعال ويمضي الوقت في تبادل الذكريات وفي انتظار الخروج والرجوع للعرض وللعالم ويدرك الجميع مع ذلك أنه لا عودة للعالم بعد الوقوع في الطريق المسدود في فخ الحرب في فيتنام .

كذلك مسرحية " رابي " عن فيتنام " والتدريب الأساسي " لبالفو هاميل والراية .. وجميعها تتناول موضوع هزيمة الفرد على يد العالم العسكري القوي، وترسم صورة للضياع خلال الحياة العسكرية. فهذه المسرحيات تخترق الحياة الأمريكية وتتناول التهرأ الذي يصيب هذه الحياة من جراء تلك الحرب في فيتنام[٢٥] .

إن كُتّابَ الدراما أمام هذا الفيضان من الصراعات حول العرش والخيانات بين الأفراد أو بين الحكام والنبلاء. وجدوا منبعا دراميا ينهلون منه أحداثا ومواقف لشخصيات وخصوم. فقدموا لنا أعمالا درامية عبر العصور كمادة حية لهذه المجتمعات المتطاحنة فكشف عن صور العنف والإرهاب الدموي

---

[٢٥] المسرح في طريق مسدود : مرجع سابق : انظر الفصل الخامس .

وأساليبه من عصر إلى عصر، والمتغيرات الإرهابية في أساليب التعذيب البدني أو النفسي حتى تبلورت صورة الإرهاب في عصرنا الحالي إلى إرهاب جماعات متطرفة أو أفراد ضد الدولة، وصارت أعمال العنف الفردية المنعزلة تخلق قصصا تثير اهتمام الإنسان وخاصة أصحاب الفكر والرؤى المستقبلية .

إن قضية العنف الإرهابي في مثل هذه المسرحيات السابقة كنا في حاجة إلى إبرازها وقراءة الماضي من خلالها وذلك للتعلم منها والتعرف على نبته الإرهاب في العالم بعد كشف حقائق الإرهاب عبر مر العصور وإعادة النظر في مواقف رجالٌ عظماء أثروا على مسار الواقع السياسي .

الجماعات الإرهابية المتطرفة المعاصرة :

إن ظاهرة العنف الإرهابي التي ولدتها الأطماع السياسية في أوربا وغرستها بين الشعوب تحصد حصادها اليوم في صورة عمليات إرهابية تهدد بها أمن وأمان أي دولة من دول العالم الذي أصبح أمام الجماعات الإرهابية عالمًا بلا حدود لإنجاز عملياتهم الإرهابية ..

لقد أصبحت في الآونة الأخيرة في وسائل الإعلام المختلفة لفظة الإرهاب، أو الإرهابي من الألفاظ المتكررة نتيجة لعمليات إرهابية زعزعت أمن دولة ما .. وأصبحت هذه الكلمة سمة من سمات المعاصرة لزمن انتشرت فيه الأسلحة الرشاشة والمتفجرات وأجهزة اتصالات حديثة، لقد أصبحت هذه السمة التي تتعايش حولنا في كل زمان ومكان تتخطى حدود الدولة إلى العالمية، فقد أصبح لا وطن للإرهاب ولا مستقر له في أرض ما يلتقط أنفاسه فيها. ولكن يملك العديد من الأماكن التي يختبأ فيها، فهو يعيش بصورة في دولة ما، ولكنه لا ينتمي إلى عالم تحده حدود .

إن عزلة الإرهابي في الحياة العامة هي الزنزانة التي يضعها لنفسه ليعيش فيها، يقابلها على الجانب الآخر عزلته في زنزانة السجن التي تفرض عليه

ليعيش فيها ويتزايد عليهم الضغط النفسي نتيجة مراقبتهم بواسطة أجهزة الأمن. فوجدوا أنفسهم داخل خلية منعزلة مختلفة .

لقد تغيرت صورة الإرهابي القديم وظهرت صورة الإرهابي المعاصر الذي يلفح وجهه بأقنعة فيخفي ملامحه الإنسانية، وقد استهدفتهم وسائل الإعلام في تصويرهم وحوش غاضبة تختفي وراء الأقنعة وصورتهم بأنهم شخصيات تفتقر إلى الذكاء في الدعاية لقضيتهم .

فأصواتهم لا نسمعها إلا في البلاغات التي يصدرها عقب عملياته الإرهابية، لقد أعطوا الدول المستهدفة منهم فرصة استخدام وسائل الإعلام في تجريم تلك الجماعات الإرهابية، وبما أنهم يفتقرون لمن يتحدث بالنيابة عنهم فقد أظهروا هزيمتهم وفشلهم في نقل مطالبهم إلى العالم، مما أدى إلى تزايد عمليات العنف والخطف والقتل بطريقة درامية أصبحت يستعان بها في الأعمال الدرامية، لقد نهل مؤلفو المسرح من هذه المشاهد التي توحي بالصراع المفزع والموت والدمار وتتحول في النهاية إلى كابوس جماعي، ولهذا السبب فإن المسرح السياسي في بعض أعماله يعرض ثقافة أبطال الإرهاب وأفكارهم التي تبدو عارية أخلاقيا كما يشير " فاجنر باسيفيس " إلى هذا قائلا .

" إن عصر الحداثة والتقدم الذي أنتج الرعب المتقن قد أنتج أيضا وعيا ذاتيا دراميا وزاد من توقعات الجمهور من صناعة الأحداث المسرحية التي لابد وأن تنهج نهجا مسرحيا حتى ولو كانت أحداث الإرهاب، فيكون لها بداية ووسط ونهاية وحبكة مسرحية معقدة وتسلسل روائي في صورة مبسطة. (٢٦)

---

(26) Rabin Erica Wagner Pacifrici, The Maro Morality Play : Terrorism as Social Drama (Chicago : University of Chicago Press 1986) .

إن ظهور الإرهابيين وعملياتهم التي تنشر الفزع والرعب ودلالاته المتفجرة قد ألهمت كتاب الدراما المسرحية في كل أنحاء العالم بتقديم المزيد من الأعمال الدرامية التي تتناول في خطابها الفني تلك الصراعات بين الجماعات الإرهابية وبين الدولة، تناولا فيه الحياد التام. هذا الحياد يتمثل في معالجة هذا الرعب بحرفية فنية مسرحية، على ألا يخلق مشهدا مباشرا موجها ضد الإرهاب كما تقدمه وسائل الإعلام .

ولكن على الكاتب المسرحي أن يخلق هذا الرعب الإرهابي في قالب درامي يتعامل من خلال رؤية حيادية تعالج هذا الرعب الذي أصبح موضوعا مثاليا .

فهذا الرعب يجسده إرهابي يسعد بشدة لانفصاله السلبي عن مشاعر المجتمع ويرى نفسه تجسيداً حيا للكوابيس والأحلام المفزعة التي يعاني منها الشعب، ولكونه انعكاسا سلبيا للصورة المضادة للمجتمع فإنه يقرر أن يصبح أكثر إبداعا في تحقيق أحداث أكثر إيلامًا للناس.

إن هذا الإرهابي المعاصر من خلال أفكاره وعقائده يحاول أن يدفع العالم إلى البحث عن تغيير اجتماعي جديد، ولكنه يتعجل تحقيقها ويرغب في نشر هذه الأفكار بكل الوسائل حتى ولو كانت وسائل اعتباطية تلجأ إلى العنف الإرهابي .

لقد كشفت الدراما التاريخية أن إشكاليات الإرهاب والعنف ظهرت ونمت في دول تدعي الديمقراطية في أوربا أو أمريكا تلك التي تدعو للحرية ولكن أي ديمقراطية وأي حرية .. الديمقراطية المزيفة والحرية اللامسئولية كما ثبت من الدراسات الحديثة" أن العولمة من أهم مناشط توليد العنف في عالم اليوم، فالعولمة توفر المناخ المناسب لانتشار الإرهاب في العالم بأسره، ألم تكشف هذه الدراسة عن الآليات التي ولدت نبتة الإرهاب الأولى في أوروبا، ومن ثم

صدرتها إلى العالم بنشر أفكارها العنصرية والعقائدية والتفرقة السياسية بين الدول والشعوب مما أنتج مجموعات متطرفة في كافة الاتجاهات. [٢٧]

إن استعراض هذا التاريخ الإرهابي من الحروب أو من الحكام خائنين أو من الأفراد والجماعات المتطرفة .. كان لابد من اتخاذ موقف إزاء هذا الواقع المرير الذي يسوده الرعب والفزع للكبار والصغار. وكان للمنظمات العالمية اتخاذ موقف أيضا لقمع هذا العنف الإرهابي من أجل تحقيق التعايش السلمي للشعوب .. فقد أصدرت اللجنة العالمية للثقافة والتنمية تقريرها الذي يدعو إلى ثقافة السلام لمناهضة ثقافة الحروب والعنف في العالم في ١٩٩٣، ومن اليوم ينبغي إعلاء شأن هذه الدعوة بالفن والإبداع والثقافة عامة بإطلاق العنان لحرية التعبير عن ملامح وأبعاد ثقافة السلام .

ثانيا : ثقافة السلام ومناهضة الإرهاب

مدخل

ماهية ثقافة السلام :

كثرت الحروب وتسابقت الدول نحو التسلح حتى أصبحت ثقافة الحروب والتفوق في التسلح بأسلحة الدمار الشامل هي الثقافة السائدة بين الأمم العظمى، وصار تحدي البشرية لهذه الثقافة المدمرة يحتم عليها المواجهة لها .. وذلك بنهج جديد يخلق الوعي الذي يدرك القضايا التي تعوق التنمية البشرية .. هذا التحدي يعتنق أساليب فكر جديد يساهم في تنظيم المجتمعات.

---

[٢٧] انظر : السلام يقاوم الإرهاب : إسماعيل عبد الفتاح – وزارة الإعلام هيئة الاستعلامات سنة ٢٠٠٦ ص ١٦

ومع انطلاقة دعوة السلام من اللجنة العالمية للثقافة والتنمية لمواجهة ثقافة الحروب والصراعات الداخلية أو الخارجية المسلحة يتطلب من الدولة إعادة النظر في مجال الحفاظ على السلام الداخلي من أجل التعايش السلمي وتحقيق الأمن والأمان تحت سقف من العدالة .

وعلينا أن نعترف أن انطلاقة هذه الدعوة بنشر ثقافة السلام انطلقت في الآونة الأخيرة في واقع تظلله سحب قاتمة مبعثها العنف والإرهاب بأشكاله المادية أو الفكرية والعقائدية، سحب لم ترحم مجتمعا من المجتمعات، ولا شعبًا من الشعوب، سحب رسمت مشاهد درامية على الساحة الرسمية من اغتيالات للأبرياء، تخريب ممتلكات، انفجارات في كل شبر من الكرة الأرضية لقد ابتلي العالم بهذا العنف الذي امتد من العصور الماضية إلى يومنا هذا ولكن بصورة جماعات متطرفة تطيح بمشاعر وأحاسيس الأمن والسلام عند الشعوب التي زاد سخطها على هؤلاء الإرهابيين .

وفي زمنا هذا علينا ألا نخلط - نحن العرب - بين ظاهرة الإرهاب وثقافة المقاومة التي تدافع عن أرضها ووطنها المسلوب كما في العراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان تلك الشعوب المقهورة تدافع عن حريتها وتطالب بأن تقام العدالة بلا عنف أو قهر يمارس عليها. من الدول العظمى التي تتسابق بالتسلح لتمارس قهرها على الشعوب النامية التي عرفت بمقاومتها ومواجتها لهذه الأمم والتي اتهمتهم بأنها جماعات إرهابية كلا .. لقد أصبحت شعوب المقاومة أكثر وعيا بحقوقهم الإنسانية فصارت أكثر جسارة في مقاومتها ضد أي قهر يمارس عليها ويحرمها من حريتها أو سلام وطنها ويشير إلى ذلك الدكتور "جابر عصفور" في مقدمة كتاب التنوع البشري الخلاق قائلا :

" قد مضت أزمنة التسلط والتسيد منذ أن تعلمت الشعوب الدفاع عن حقوقها في الوجود المتكافئ الذي تؤكده معاني الحرية والعدالة والمساواة، وإنما تهدف إلى احترام الاختلاف بوصفه سبيلا للاتفاق، والاعتراف بالتباين

دليل على العافية، وتأكيد أنه ما من أمل في سلام البشرية ما ظلت حضارة من الحضارات أو ثقافة من الثقافات أو أمة من الأمم تمارس قهرا سياسيا أو فكريا أو أخلاقيا على غيرها من الحضارات ... " (٢٨)

إن التفرقة التي تنشدها الأمم العظمى بين القوميات والمعتقدات أدى هذا إلى إهدار كرامة الشعوب، بل إهدار الإنسانية جمعاء وتولدت الأحقاد والمشكلات العالمية التي لم يقدر على حلها دولة ما مهما عظم شأنها. اليوم نرى موقف أمريكا من محاربة الإرهاب فمن تلقبهم بالجماعات الإرهابية تلك الكلمة المطاطة المعنى والتي لها أوجه مختلفة ومتعددة .. فقد وجهت لهم أصابع الاتهام هم من المسلمين والعرب، فقد وقعت أمريكا في براثن الإرهاب في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ يوم أن عجزت عن المواجهة بأسلحتها المتفوقة شتات الإرهاب وتحدياته لها ولكل من يتبعها من العالم أجمع، لقد تولد هذا التحدي نتيجة حتمية لفقدان الحوار والتمييز العرقي والتعصب المذهبي الذي فرضته أمريكا على العالم، ومن كل هذه العنصرية قضت على معاني التعايش في تسامح أو سلام .

ولكي نعيد الثقة لهذه الشعوب بين تلك الأمم ينبغي تعلم الحوار بين الحضارات، وتبادل الثقافات واحترام حق الآخر لمواجهة أخطار العنف الإرهابي الذي يعوق التنمية البشرية ويعوق التعايش السلمي، " فإن علينا أن نتعلم كيف نتيح لها فرصة أن تقودنا إلى التعايش السلمي والتعاون وليس الصدام والصراع. (٢٩)

وهذا ما سعت اللجنة العالمية للثقافة والتنمية في تقريرها الذي ينادي بثقافة السلام كجزء من الثقافة العامة للمجتمعات التي تشكل فكرنا وتحكم سلوكنا .

---

(٢٨) التنوع البشري الخلاق : تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية : المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة ١٩٩٧ ص ج المقدمة .

(٢٩) المرجع السابق ص هـ .

تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية لنشر ثقافة السلام

اتخذ المؤتمر العام لليونسكو في جلسته السادسة والعشرين في عام ١٩٩١ قرارا يطالب الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي بإنشاء لجنة عالمية للثقافة والتنمية، وقد قررت اللجنة أن تركز نشاطها الدولي على تحقيق مجموعة من الأهداف أبرزها ثقافة السلام من أجل التسامح من أجل التسامح والتعايش السلمي داخل المجتمعات بعيدا عن الصراعات الداخلية للدولة .

وفي التقرير تعتمد اللجنة " أنه من الحتمي لأية أخلاقيات عالمية أن تتضمن التزاما قويا بالحل السلمي للصراعات عن طريق التفاوض والحوار وينبغي أن يكون هناك التزام ببناء ثقافة سلام فالتكاليف الاقتصادية والاجتماعية والبشرية الباهظة للصراع المسلح تتجاوز حدود المعقول وتعد النفقات العسكرية تبديدا مأساويا للموارد المحدودة في كل أنحاء العالم، ومما يؤسف له أن المؤسسات العسكرية ليست مقتنعة بكم المدارس والمستشفيات التي يمكن إقامتها بثمن دبابة واحدة. والآراء العامة حول الأولويات الاجتماعية لا أثر لها. فينبغي أن تقتنع هذه المؤسسات بأن تكدس الأسلحة غير مجد من منظورها الخاص للأمن القومي. وفي الوقت نفسه فإن المخاطر التي تهدد السلام والأمن والتنمية البشرية تنبع من سياستنا واختياراتنا .

إن ثقافة السلام ليست مجرد نظرية أو مجموعة من المبادئ بل هي عملية تنشئ التوجيهات الإيجابية نحو السلام والديمقراطية والتسامح عن طريق التعليم والتعرف على الثقافات المختلفة، إنها عملية تقوم على موقف تصحيحي بعد أن يحصد ما يحصد من أرواح البشر، وهي تشمل كل الأطراف في حل أي صراع، أو دعاوى العملية الديمقراطية واحترام الحقوق وإدارة الصراعات سليما. وتلجأ الشعوب إلى ممارسات للحيلولة دون نشوب الصراعات وسفك الدماء، ومن الثقافات ما رفع صناع السلام ممن عملوا على نزع فتيل الصراعات إلى مرتبة القديسين، إن المسئولية الملقاة على عاتق كل منا هو

فضح المصالح التي تكمن وراء تكدس الأسلحة، ودعم توجيهات التصالح والتعاون السلمي والتسامح [٣٠] .

إن هذا التقرير يطالب الدول بإعادة النظر في مدى سيادتها والتفرقة بين أطراف الصراع للحفاظ على السلام وتحقيق الاستقرار الداخلي للبلاد ودعم حقوق الإنسان .

وتطالب اللجنة العلماء والفنانين والمسئولين ورجال الدولة بأن يحظى هذا التقرير باهتمام دوائر الفكر والفن والرأي العام في العالم .

* مناهضة ثقافة السلام للإرهاب والعنف

إن قراءة التراث الإنساني للدراما عبر العصور أكد لنا أن ظاهرة الإرهاب ظاهرة تولدت منذ القدم عبر العصور تحت وطأة القهر السياسي والديكتاتورية والعنصرية الدينية، عنصرية الأجناس وتطورت أشكالها وأساليبها من عصر إلى عصر .. فقد خلقت أنظمة تصادمية باستخدام القوة والعنف من أفراد أو جماعات انشقت من بين جنبات الشعوب، التي سعت بمعاييرها التصادمية إلى قيادة الاحتجاجات والمعارضة على الأنظمة السياسية والمؤسسات الاجتماعية مع غياب التفاهم مع هذه الجماعات المنشقة عن مجتمعاتها .

وفي بقاع أخرى نجد شعوبا يمارس عليها القهر السياسي وسلب الأوطان والحرمان من الحرية والعدالة أنها شعوب يملي عليها ثقافة الحروب من الدول العظمى، فكان السبيل الوحيد لهذه الشعوب هو المقاومة كشكل من أشكال الدفاع عن النفس والوطن، وسعيا للتحرر والعيش في أمن وسلام. ومن هنا اعتبرت الدول العظمى أن هذه المقاومة الشعبية هي جماعات إرهابية وسعت إلى اتهامها بالإرهاب خلال أجهزة الإعلام للتشهير بها أمام العالم بدلا من احترام ثقافة هذه المقاومة واحترام كفاحها من أجل الوطن، إن هذا الخطاب العلني للعالم من الأمم

---

[٣٠] المرجع السابق ص ٤٥ ص ٤٦

العظمى ضد المقاومة التي تتهمها بالإرهاب هو هدف تسعى به إلى التشتيت بين مؤسسات المجتمع السياسية والاجتماعية ونذكر هنا " قد يعتبر المقاتل من أجل الحرية في دولة ما إرهابيا في دولة أخرى، ولكن ثمة مساحة شائعة بين الاتفاق". (٣١)

إن إدراك أهمية الثقافة في مواجهة الحروب والعنف وخاصة بعد الدعوة لثقافة السلام التي تعتبر جزءًا لا يتجزأ من الثقافة الإنسانية، والعالم اليوم في أشد الحاجة لنشر هذه الدعوة للأمن والأمان ودعمها وغرسها كقيمة من القيم التي سنورثها للأجيال .

والمطلوب اليوم من الدول تفعيل دعوة ثقافة السلام وخاصة المفكرين والمبدعين يتطلب منهم تنشيط الخطاب الثقافي في هذا الاتجاه بين الدول، بتبادل الآراء والأفكار من خلال الفن والإبداع عامة، وذلك لتصدي مخاطر الحروب وعنف الإرهاب وهما ما يهددان الواقع المعاصر الذي يحيط به عنف التسلح وعنف الإرهاب، ذلك الإرهاب الذي اتخذ مبدأ القوة كنفوذ تصادمي لفرض قيمه ومعاييره غير الشرعية، وأساليبه اللاإنسانية. والتي تعتبر انتهاكات توقع المجتمعات في انقسامات تخدم الفكر الإرهابي، فكر التناقض بين الدولة والمجتمع في ظل مناخ يسوده الخوف والفزع للشعوب التي مازالت في مواجهة صارمة ضد هذا الخطر الإرهابي .

ولنجاح هذه المواجهات ينبغي أن نؤمن بأن الثقافة هي التي تؤسس وحدة مشتركة من مرتكزات الأخلاق والمعرفة والعمل والثقافة هي التي تصوغ التوجيهات والسلوك العام وتعميق مساحة الفهم وخبراته تقي المجتمع من كل عطب أو فساد .

---

(٣١) الإرهاب والمسرح الحديث : مرجع سابق .

فالثقافة تشمل كل ما صنعه الإنسان بيده وعقله وسلوكه ولغته وعاداته وتقاليده وأفكاره ومفاهيمه أنها أسلوب الحياة، وأي نشاط إبداعي لابد وأن ينبت من جذور الوعي العميق بالحقائق الاجتماعية والسياسية والثقافية المعاصرة له.

إن نشر الوعي بهذه الثقافة لن يأتي إلا من خلال الخبرات والتجارب والمهارات الهادفة الموجهة بعناية إلى الجمهور ليتشربها ويدفع بها إلى الأمام لتتوارثها الأجيال .

ونذكر مقولة يوسف إدريس "أن الفن ظاهرة من الظواهر الإنسانية الاجتماعية ارتبط وجودها وتطورها بنشأة الثقافة والمسرح هو إبداع إنساني يكشف في محتواه وشكله عن المدى الذي وصلت إليه الجماعات الإنسانية في فهمها واستيعابها للكون والعالم والبيئة المحيطة به" [٣٢] .

إن يوسف إدريس يؤكد على أهمية الدراما المسرحية في حل مشكلات الجماعات الإنسانية معبرا عنها وعما يحيط بها من قضايا وهموم تحيط بها. وهنا على المؤلف الدرامي أن يستقي من الواقع القضايا ويقدمها برؤى علاجية لهذه القضايا .

* الدراما وثقافة السلام

إن الحروب والصراعات الدموية والشخصيات بمواقفها وأحداثها عبر العصور قد رسمت للدراما فضاء مسرحيا تدور فيه تلك الأحداث والصراعات وأطرافها بكل أبعادها الدرامية. واعتبرت هذه الصراعات منبعًا للمبدعين في استلهام شخصيات لها مكانتها في التاريخ في إبداعهم المسرحي وطرح مواقفهم وأحداثهم الدموية واستنباط نتائجها على البشرية، وطرح رؤاهم ووجهات النظر فيما يطرحونه للمتلقي الذي يأتي إليه حاملا أيضا معه رؤيته

---

[٣٢] نحو مسرح عربي. يوسف أدريس . بدار النشر العربي بيروت ص ٤٧٦ .

وفكره وتعدد الأعمال المسرحية السياسية أو الإسقاط السياسي الذي يشاع في عصر الديكتاتورية أو عصر العنف .

"إن مشكلة تعدد وتصالح أطر الدلالات في مجتمعنا اليوم هو السبب الرئيسي لموجه المباشرة والتقرير التي تجتاح المسرح الآن، وربما أيضا كانت خلف شيوع كلمة الإسقاط .

إن الإسقاط بمعنى الواقع المعاش، وجد منذ أن وجد المسرح وهو جزء لا يتجزأ من ذلك الجدل بين الفن والحياة .

وما يسمى بالإسقاط السياسي هو فرع من الإسقاط يظهر عادة بدافع الاحتجاج في عصور القمع السياسي والرقابة المشددة وقد استشرى هذا النوع من الإسقاط السياسي في المسرح الاليزابيثى. [٣٣]

فإن تبني الدراما المسرحية لدعوة ثقافة السلام في خطابه الدرامي سوف يتحقق التغلغل الذي يسعى به إلى تعميق وعي المتلقي بما يجب من أجل تحقيق حياة التسامح والسلام.

ولتحقيق ذلك لابد أن يساند المؤلف المبدع تيار فكري تنويري يعمل في ظله لإيجاد رابطة من العلاقات التي تجمع ما بين الفكر والفن وتضع معايير لثقافة السلام تواجه أخطار العنف والإرهاب في أعمال درامية تجمع ما بين الواقع والخيال، فالخيال هو وسيلة المبدع ليقص الحياة ويطرح رؤيته وهو أيضا أداته للعب مع الزمن كي يصد الموت وكي لا يفقد الإنسان الأمل" .

فالخيال لا يسكن ويبحث دائما عن المعني، ويجعل الوعي يلاحق المعاني ليمتلئ وجوده، إذ المعني هو الذي يخلق الوجود والدراما الحديثة في بحثها الدائب عن تيارات الإبداع التي تحرك الثقافات والتي تتجسد عن طرائق

---

[٣٣] المسرح بين الفن والحياة، نهاد صليحة ، الهيئة العامة لكتاب القاهرة ٢٠٠٠ ص ٨٥ .

التعبير والآثار الفنية لإثراء الحركة المسرحية مشاركا فيها مبدعون بتجاربهم ورؤاهم وهمومهم ". [٣٤]

إن المسرح يضع التجارب الحياتية أمام الناس الذين يتفاعلون يفزعون أو يضحكون، إن هذا الجمهور يذهب إلى المسرح ليسمع شيئا يبحث عنه، والمسرح هو موطن المعارضة وفي إمكانه إحداث أي تغيير. فالفن هو تبليغ رسالة. رسائل مستمدة من تجارب حياتية يشارك فيها الجميع، وإن كانت الحروب أو الإرهاب فهي تجربة نعيشها مع الدولة معا. يمكن للدراما المسرحية أن تتصدى لها بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

" إن الوصول بالقضايا العامة إلى الرأي العام وتبصيره بها أصبح من أهم مهام المسرح، بل هي أهم مهمة على الإطلاق وعبر العصور والقرون غيرت هذه المهمة من مضامينها ووسائل تحقيقها ولكنها كمهمة وكوظيفة للمسرح بقيت كما هي ". [٣٥]

لقد حان الوقت لمبدعي الدراما المسرحية تحت مظلة ثقافة السلام أن نشجعهم بإطلاق العنان لمخيلتهم، وحرية التعبير والفكر في تناول رؤى تحقيق السلام في أعمال درامية تفتح حوارا ثقافيا بين أطراف الصراع، وابتكار معالجات حقيقية لهموم المجتمعات حول خطر الحروب والإرهاب، إن الشعوب اليوم أصبحت في أشد الحاجة لأطروحات درامية ذات رؤى علاجية لهذا الخطر المتربص بهم. فعلى المجتمعات المتزمته نحو الفن والإبداع أن تفتح أبوابها لهؤلاء المبدعين الذين ينشدون معاني السلام والتسامح، بألا تقمعها أو تحولها إلى ثقافة فوقية منعزلة عن المجتمع. علما بأن الدراما المسرحية من

---

[٣٤] المسرح المعارض : بيتر ايدين ، ترجمة حامد أحمد غانم ، مركز اللغات والترجمة أكاديمية الفنون . القاهرة ١٩٩٦ المقدمة .

[٣٥] المرجع السابق ص ٢٧ .

أهم الفنون التي تسعى إلى الصقل والتهذيب، تهذيب الواقع بالخيال الباحث دائما عن المعني الذي يخلق الوجود .

إن الدور العظيم للفن المسرحي جعلهم أحلام المجتمع لأنهم هم الذين يعبرون عما يحيط بهم من مخاطر وقضايا ... كما هم أيضا المستهدفون من الإرهاب بالقمع، فالفنان يعبر في أعماله عما يلقاه غيره في صمت، وكثيرا ما نسمع عن فنانين ومثقفين يتعرضون للاغتيالات والتهديد، ولكنهم لا يبالون فهم يلعبون دورا مهما لأنهم يستطيعون أن يستقلوا بأنفسهم ويعبروا عن تجربتهم مع العنف الإرهابي بحرية تامة، بل والإصرار لديهم على مبدأ الحوار، فإنهم يهاجمون الفساد في الحياة ويلقون الضوء على رسائل العنف والإرهاب، فهم دائما في حاجة إلى حرية التعبير دون قيود أو رقابة من الدولة فيما عدا ما يتصل بالأمن القومي. فالدراما المسرحية تمثل حقلا فكريا وأيديولوجيا لكل ما هو يدور في المجتمع، وهذه الأعمال الدرامية الأيديولوجية هي جزء لا يتجزأ من العملية الثقافية والاجتماعية العامة .

ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة التي تقول أن الفن المسرحي هو أكثر الفنون تأثيرا على الإنسان، وهذا ليس نابعا من إحاطته بمشاكل الحياة والإنسان فحسب، بل لأنه الفن الذي يسلم قيادته لفنان يستطيع أن يتقمص مشاعر الآخرين أي متجاوزا حدود نفسه إلى سواه قادرا على التأثير بالجماعة الإنسانية التي تعيش معها والتأثير فيها. فنان لا يحرك أفرادا يتغنى كل منهم بعواطفه الذاتية وإنما هو يقصد وسطا اجتماعيا يتفاعل فيه الفرد مع الآخرين، كما يتفاعلون مع الحياة وتصل بينهم علاقات تحدد سلوكهم ونفسيتهم وأحداث حياتهم ويلونها الصراع الذي يكون بين الفعل ورد الفعل بين الفرد والجماعة .. ومن هذا الدور الفعال للمسرح في الحياة يمكن أن يكون الوسيط الأول في تقديم أعمال درامية تحمل في مضامينها ثقافة السلام وتواجه ظواهر العنف

والإرهاب من خلال الصراع المتصاعد بين أطراف دعاه السلام وخصوم يعرقلون مسيرته الإرهاب العدو الحقيقي لمنظومة السلام .

إن الدراما المسرحية يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في رسم المستقبل للناس باعتباره كمنصة للاحتجاج والمعارضة ضد أي جماعة أو مؤسسة تسلب حقوق البشر، وذلك الموقف يمنحه إياها المجتمع الحر باعتبار أن المسرح ليس مكانا للاسترخاء النفسي البهيج والذوبان في السعادة المفقودة ساعتين أو أكثر، فإن المسرح هذا لا يهمنا، ولكن ما يهمنا هو التأثير الحقيقي الذي يجب أن يحدثه المسرح على جماهيره " إنه مسرح الملاحظة والتساؤل والمحاكمة والرغبة في التغيير، إن مثل هذا المسرح يلقي الضوء على الشخصيات السوية، يركز على الظروف والأوضاع الحياتية مادته المفضلة هي العلاقات وماهيتها وعن تأثيرها على الناس وعن نتائجها. إن هذا المسرح يتخذ موقفا والإدلاء بوجهة نظر والتأثير من خلال صورة الإنسان من الواقع المعاصر ". (٣٦)

والتراث الإنساني في الدراما المسرحية يكشف عن تطويع كتاب المسرح اللغة الدرامية للتعبير عن رؤاهم نحو قضايا يتعايشونها مع المجتمع، وقضية العنف والإرهاب المعاصرة من أهم القضايا التي شغلت المجتمعات .. والبعض من كتاب المسرح وجد في هذه الأحداث والصراعات مادة حية لإبداعاتها للإدلاء بوجهه نظر نحوها فرغبة الإرهابيين في خلق السخط والعنف وإثارة الفزع على كل المستويات تجعل منه موضوعا خصبا للمسرح، وعلى الكاتب المسرحي أن يلتقط عناصر وجوانب هذا الحدث الإرهابي ويعيد طرحها في النص الدرامي .

---

(٣٦) المسرح المعارض . ص ٢٣.

" إن الإرهاب وثيق الصلة بالمسرح لسببين، أولهما : الطابع المسرحي العنيف والوحي بالموت الذي يحيط بالإرهاب والذي لابد أن يجذب كتاب المسرح، وثانيهما : أن الإرهاب شأنه شأن المعاصرة ذاتها قد صار قدرنا". (٣٧)

وقد شجعت مصر مبدعيها إلى التوجه بأقلامهم وإبداعاتهم بتناول العنف الإرهابي مصدرا للعصب الأخلاقي واسع الانتشار، ورأت أن تمثيل مشاهد العنف على المسرح قد يقصد بها التخويف أو التهديد وغالبا ما يكون بهدف استفزاز عدو الدولة ودفعة إلى الخوف المضاد .

ثالثا : الدراما المصرية في مواجهة الإرهاب

أولا : مسرح الطفل ودعوة إلى السلام :

مرت الأمة العربية ومصر في أواخر القرن العشرين إلى يومنا هذا بأحداث مفجعة من حروب وأحداث عنف إرهابي قاست منها شعوبنا، وتفاعل المبدعين والمثقفين مع هذه الأحداث المؤلمة للكبار والصغار، فنتج عن هذا التأثر أعمال درامية في مصر وغيرها من الأمة العربية ... أعمال تتعالى فيها ردود الأفعال التي تتحدى هذه الحروب أوهذا العنف الإرهابي. كما تعالت فيها الابتهالات التي تدعو إلى السلام والتسامح .. وكان للأطفال نصيبٌ من هذه الأعمال على خشبة المسرح. بل وعلى مسرح الثقافة الجماهيرية في أسيوط، وذلك في أوائل التسعينيات. تلك الفترة التي عان فيها المجتمع المصري من هجمات إرهابية في صعيد مصر ومن ثم للقاهرة ثم للصعيد وفي هذه الظروف التي تقضي على كل أحاسيس ومشاعر الأمن والأمان .. قدم لأطفال أسيوط عرضا مسرحيا بعنوان " السلام" مسرحية تقهر الشر من أجل السلام في أكثر

(٣٧) الإرهاب والمسرح : مرجع سابق المقدمة .

مواقع مصر عنفا وإرهابا .. إلا أن منتجي هذا العرض أصروا على تقديمه بمشاركة الأطفال في التمثيل كما أصر الأطفال على حضور العرض وترديد أغاني السلام بين أحداثه ..

ففي أوائل التسعينيات انتشرت الجماعات الدينية المنشقة عن الدولة واتخذت مقرها صعيد مصر، وحاربت رجال الدولة كما حاربت الفكر والفن واغتيالات كثيرة ابتلى بها عالم الفكر. إلا أن تحدي الفنانين والمثقفين واجهوا هذا الخطر وقدموا إبداعاتهم الفنية المسرحية على خشبة مسرح الثقافة الجماهيرية بأسيوط .. وكانت التجربة للمخرج الشاب "حسام عطا" الذي قدم مسرحية للأطفال بعنوان (السلام) مقتبس نصها من مسرحية " السلام " للكاتب الأغريقي "ارستوفاينس " أول كاتب مسرحي من قبل الميلاد ٢٤٠٠ كتب أعمالا للأحرار مناديا بالعدالة والسلام متهكما للحكام المفسدين .. وعندما كتب ارستوفانيس مسرحية " السلام " كانت من أجل الدعوة للسلام والتعايش السلمي، وكانت غالبية مؤلفاته تكتب في شكل برلماني لمحاكمة الظالم والفاسد .. وكانت دعوة ارستوفانيس للسلام الأغريقي بين الأخوة حتى تتم الوحدة، لا ذلك السلام الذليل أمام البرابرة الفرس .

" كان مسرح أرستوفانيس تبني أحداثه كما تعرفه اليوم بمجلس الشعب يخاطب مشاهدين ليشاركوا في الحوار والإصلاح ". [٣٨]

وقد تناول " حسام عطا " روح النص لارستوفانيس، وأقام برلمان للأطفال يعرض من خلاله ببساطة وتشويق بعض ألعاب الكبار خاصة عندما يقودون الحروب وعلى الصغار ألا يتحولوا إلى هذا الشر صناع حروب، فالشر يخرج يسعى بين الناس بالفرقة والخلاف ويغذي أسباب الخلاف والصراع بأساليب عصرية ورمزية لتجار الحروب والسلاح .

---

[٣٨] المسرحية العالمية : الجزء الأول ص ١٢٧ .

بينما جماعة الأطفال الطيبة البسيطة تسعى إلى التفتح على الحياة بمنطق الرضي وبمنطق أن الأرض تسعنا معا . الجهد متاح للكل في كل مكان حتى نوفر الأمان ولا يجوع أحد .

أمام منطق الرضي والطيبة يدار حوار مع جماعة الشر والحروب التي تفتقد المعرفة بفنون الحياة (الزراعة والصناعة) إنهم لا يعرفون فقط إلا النهب والسلب من الآخرين الطيبين. هؤلاء الأشرار لا يجتمعون إلا حول تجارة الأسلحة والحروب .. أما السلام في المسرحية يأتي في صورة حمامة صامته جريحة ذبيحة .

ويأتي " الفتي فلاني" وهو رمز لأي فتي شجاع، يتطلع إلى المعرفة والسلام، يغني للأطفال أغنية السلام :

غنوا للسلام يا أحبائي .. وعندما تكبرون لا تفعلوا مثل الكبار

كونوا محبين وشعراء وانثروا الحب في كل مكان .....

وقاوموا كل من يحاول يسرق أرضكم .. قمحكم .. عمركم ..

ثم يروى للأطفال قصة تثير في عقولهم الدهشة التي تغرس فيهم بذرة التفكير والتأمل لما يدور حولهم .

وقد جاء تصوير أهل السلام ناس طيبين يشيدون الأرض يعملون والأشرار يسلبونهم، بينما جاء تصوير أهل الشر يرتدون أقنعة كوجوه مزيفة كما هم في كل العصور، قائد الأشرار إنسان ضخم في صورة الوحش الشرير، أو الشيطان الذي يسعى بين الناس بالخلاف.

ويتعاون مع أهل السلام " العراف " الذي يحاول أن ينبه الناس عن الأخطار حولهم، ويحذرهم من الانحراف إلى العنف والقتال وعليهم أن يبحثوا عن السلام " الحمامة الذبيحة " .

فيتعاون الأطفال في البحث حتى يجدوا الحمامة رمز السلام في حفرة فيتعاونون على إخراجها إلى الحياة رغم أنها جريحة .. فتكون فرصة الأشرار السخرية من رمز السلام، بأن الحرب للأقوى الذي ينهب ويسلب وتوعدوا الأطفال والسلام بالعداء المتواصل .

فتأتي نصيحة " العراف " للأطفال الذي يتنبأ لهم " (بأنهم الغد المشرق) وعليهم أن ينشدوا معه نشيد القسم :

نحن الغد أتينا اليوم .. نقسم لن ندخل حربا أبدا

أتعرفون معني الوطن : الحب . السلام .. العمل

هذا القسم هو الدعوة إلى السلام بالعمل والحب ضد الأشرار والإرهاب تجار الحروب كل من يبعدهم عن الأمن والسلام .

إن هذا العمل المسرحي تحدي للإرهاب وأفكاره ضد الفن قد حقق نجاحا رائعا في صعيد مصر مخبأ الإرهابيين. ولكن أطفال الصعيد تحدوا أيضا طلقات الرصاص وشاركوا في العمل المسرحي تمثيلا وحضورا كجمهور واع أنه عرض مسرحي تفاعل فيه الأطفال نحو أهمية السلام لحياتهم، وأنه قيمة ينبغي أن تغرس في أعماق الجميع .

لقد كان هذا العرض شكلا من أشكال التحدي والمواجهة للعنف ومعتنقيه تحمل مسئولية تقديمه أطفال الصعيد مطالبين بالتغيير والمواجهة .

ثانيا : الزهرة والجنزير تناقش التطرف :

قدم الكاتب المسرحي " محمد سلماوى " مسرحيته " الزهرة والجنزير " في أوائل التسعينات. تلك الفترة التي انتشرت فيها الجماعات الإرهابية الدينية المتطرفة، متسترة وراء الدين الإسلامي، رافعة شعارات الدين ضد الدولة،

والمجتمع كافر كما يعتقدون في معاييرهم ضد الدولة ولابد من التعامل مع هؤلاء الكفرة بآليات متنوعة من الأسلحة لممارسة العنف وسفك الدماء .

وقد ألقى الضوء محمد سلماوى على قضية الإرهاب برؤية درامية يتخللها التحليل النفسي والاجتماعي لشخصية الإرهابي، والظروف والملابسات التي أدت به إلى اعتناق مبادئ ومعايير هذه الجماعة الضالة. فهذه المكاشفة فيها توعية لكل من يجول في نفسه أن ينتمي إلى مثل هذه الجماعات الاستغلالية للشباب المسلوب الإرادة .

إن بطل " محمد سلماوي " في زهرة والجنزير هو شاب إرهابي مضلل بواسطة تصوره المشوه للدين، يقوم بعملية إرهابية ضد عائلة مسالمة من أجل إرضاء أمير الجماعة الذي وعده بالانضمام إليهم إذا نجح في مهمته الإرهابية (ترويع الأسرة وتهديدها بالقتل) ولكن كيف تمكن من انضمامه للأسرة ؟

تبدأ أحداث المسرحية بتحايل الشاب الإرهابي تحت الغطاء الديني مرتديا خمارًا نسائيًا للتعرف على " زهرة " الأم المصرية والتمكن من دخول منزلها وهي مرحبة بها أو كما ظنت أنها صديقة ابنتها ... فجأة وسط ترحاب زهرة لها.. يكشف عن شخصيته ويشهر السلاح في وجهها، ثم يضعها هي وأسرتها تحت التهديد بالقتل تنفيذا لأوامر أمير الجماعة، وسوف يتلقى هذه الأوامر تليفونيا. فتحول جرس التليفون إلى تهديد ثانٍ للأسرة الكافرة في نظر " محمد الإرهابي " فهذه الأسرة كما يراها محمد " هي جزء من المجتمع الكافر ".[٣٩]

ويتعايش محمد الإرهابي مع أفراد الأسرة أربعة أيام وهي تحت التهديد في انتظار أوامر أمير الجماعة الذي يساوم وزارة الداخلية على إفراج أحد المسجونين مقابل الإفراج عن هذه الأسرة .. وفي هذه الأيام الأربعة يتبادل محمد الحوار بينه وبين أفراد الأسرة. هذا الحوار المتبادل أحدث تقدما نحو

---

[٣٩] زهرة والجنزير : محمد سلماوي . الهيئة العامة لكتاب ١٩٩٤ ص ٥١ .

التحول لشخصية محمد الذي يكشف عن حرمانه من دفء الأسرة جعله يشعر بإحساس أن " أحمد بن زهرة " هو بمثابة شقيق له :

محمد : أنا حاسس أني أعرفك من زمان يا أحمد زي ما نكون كنا سوا في المدرسة أو أخوات شقه (ص ٥٧)

محمد وأحمد يجسدان شباب العصر يعيش كل منهما في ضياع الأول تحت فكر مضلل، والثاني ابن الأم الطيبة في الضياع من تناول المخدرات .

كذلك تطور الحوار المتبادل بين محمد وزهرة الأم التي تحاوره على مدى أربعة أيام كابن لها، وتقدم له النصائح محاولة أن ثبت في داخله الدفء الأسري الذي حرم منه.

زهرة : مافيش وسيلة ثانية يا بني أنك تنضم للجماعة دي غير العنف والإرهاب ده .. سيبوا الزهور تتفتح والدنيا تبقي جميلة .. إذا حوطوا الورود بالجنازير حا يموت .. ويختفي من الحياة "

ورغم حوار الخلاف بين زهرة ومحمد لمحاولتها أن تنتشله من تلك العقائد المضللة المدمرة .. إلا أن محمد قد وجد ضالته في اعتناق مبادئ الجماعة التي تناقض الدولة بالفكر المضلل والتستر وراء الدين .

محمد :الفساد عم البلاد وماعدش ينفع معاه غير البتر

زهرة : يا ولاد البلد محتاجة لكم أكثر من أي وقت قبل كده ص٥٨

كذلك حوار مع محمد : " ياسمين ابنة زهرة " حول عقائدة المضللة

محمد : البلد محتاجة للمؤمنين اللي بيعرفوا شريعة الإسلام وعلشان توصل لده لازم يبقي فيه ناس مستعدة تضحي بنفسها، تستشهد في سبيل الله .

ياسمين : أنا لسه مش قادرة اقتنع ازاي الطريق للجنة يمر بالمسدس والجنزير (ص ٦٦)

هذا الحوار يكشف عن أفكار الإرهابي الفاسدة عن العقائد الدينية التي رسمها داخله أمير الجماعات الفوضوية، وهذا هو الخطر الذي يهدد أسس الحياة الاجتماعية صانعة الحضارة .

فإذا كان الحوار بين طرفي الصراع للكشف عن أبعاد مشكلة داخل المجتمع الإنساني باعتباره أحد المكونات الرئيسية للواقع، فإن الحوار الدرامي هو أداة التحول، إذ إنه يحدث عند تلاقي الشخصيات وتحركها ليؤدي إلى تغيرات وتحولات غير متوقعة، فكلما تقدم الحوار بطريقة جدلية. فكلما تغيرت الشخصيات والأحداث والأفكار من شكلها ومعانيها، وهذا ما تتبعه محمد سلماوي في إقامة حوار جدلي بين محمد وأفراد الأسرة فردا فردا .

ونذكر رأي صلاح فضل قائلا :

" إن صراع الأحداث مرتبط بصراع الأفكار ومتولد منها، ولأن المسرحية الكلمات فيها قد بلغت درجة عالية من الإتقان، إذ أخذت دوائره تتسع وتتفاعل من الخارج إلى الداخل، فصدام الإرهابي المخادع بالأسرة الآمنة لا يلبث أن ينقل الصراع إلى داخل نفسه عندما يكتشف نبلهم وطيبتهم فيؤثر أن ينضم إليهم وتتحدد الدائرة الكبرى عندئذ بين الجماعة والشرطة .

كذلك الحوار في هذه المسرحية يكشف عن بعض الأوضاع في المجتمع التي كانت سبباً مباشراً أدت إلى ضياع الشباب بالإدمان أو الهروب إلى الجماعات الإرهابية المتطرفة التي تنصب نفسها لهؤلاء الشباب أنها الدرب

الوحيد القادر على التغيير، كما ترسخ في عقول الشباب أنهم أصحاب موقف وقضية وصاحب رسالة في مواجهة الضياع والظلم والفساد إلا أن "محمد" عند يكتشف بإحساس الدفء والأمان بين أسرة زهرة لا يلبث أن يظهر ما حدث من تغيير داخله نحو الأسرة والمجتمع في هذا الحوار المتطور مع ياسمين ابنه زهرة :

محمد :شوفي يا أخت ياسمين أنت وعيلتك كأنكم عيلتي لا تتخيلي أنا قد أيه حبيتكم .. أخوك ضحية هذا المجتمع، أنا حاسس أنه أخ لي اتظلم .. وجدك راجل طيب واضح أنه له تاريخه ..

مثل هذا الحوار الدرامي الذي نستشهد به يدفع بالشخصيات إلى التطور والتحول شيئا فشيء ويبرز التحول في شخصية الإرهابي نتيجة حتمية من تبادل الحوار مع الآخر، أو يكشف عن الشيء الذي كان ينقصه في حياته .. فهنا يمكن القول أن "محمد سلماوي" حين أقام الحوار بين محمد وبين زهرة وأسرتها كان له نصيب في طرح رؤية المؤلف الذي يضع أمامنا أحد الحلول التي تكشف عن أبعاد المشكلة أبعادًا اجتماعية ونفسية لو تفهمها المجتمع حقيقة لاستطاع أن يجد حلولا لهؤلاء الشباب كما يمكن إنقاذهم من براثن تلك الجماعات .

إن الحوار الحقيقي في الدراما يتطلب قدرا محددا من الشك الفلسفي والخلاف كمبدأ من مبادئ الحوار ليس ببساطة خلافا قابلا للتصالح مع الحوار ذاته، بل إنه أحد شروطه المسبقة، فالحوار يتضمن أن يتفتح الإنسان لنقد افتراضاته الشخصية، ورفض التمسك الأعمى بالرأي، كما يتضمن الحساسية لعملية الاتصال ككل، وبصفة خاصة كيفية تقبل المستمع للرأي هكذا استطاع محمد سلماوي في مسرحيته أن يجعل من الحوار أداة لتبصير محمد نحو

الصواب وتحوله بعد حالة الإرهابي الذي يهدد الأسرة هو نفسه الذي يحميها من زملائه الإرهابيين في نهاية المسرحية .

إن مسرحية " زهرة والجنزير " تناقش الفكر المتطرف وتتحداه فيما تطرحه حول شخصية الإرهابي الذي ضلل بمعتقدات مضللة لجماعات تتستر وراء الدين، كما تكشف أسباب التحول لهذه الشخصية الإرهابية وهذا يعد تنبيها للمجتمع وتبصيره حول الأوضاع الفاسدة التي تؤى بالشباب إلى الضياع، إن المؤلف يضعنا أمام المشكلة وحلها بتطور الحدث في المكان وإقامة الحوار بين الشخصيات حتى ولو هناك خلاف أو اختلاف بينهما. إلا أن هذا الحوار هو التأكيد على مصدقية الحل لأي إشكالية .

لو تخيلنا أن منزل زهرة وأسرتها هي رمز المجتمع الحقيقي الواقعي فنحن نطالب المجتمع أن يقدم للشباب ما قدمته زهرة وأسرتها .. فواجب المجتمع أن يحتضن أبنائه، أن يرعى صغاره وكباره، فهذا الدفء الذي بثته زهرة وأسرتها أسقط من ذهن الإرهابي تلك الأفكار العقائدية الفوضوية وغلف ذهنه بحب ومشاعر يكنها لزهرة وأسرتها .

لقد أحب الإرهابي " الجد " القعيد حين يراه فإنه يرى فيه التاريخ الثوري لمصر، وهو الجندي الذي أعاد لوطنه كرامته وحقه في حياة حرة كريمة، هذا التاريخ كيف يشوه اليوم بالتهديد بالقتل. إن لحظة التحول عند محمد الإرهابي هي لحظة اكتشاف الباطل في طاعته العمياء التي يأمر بها أمير الجماعة بألا يفكر، وألا يناقش وألا يراجع، ولا يقرر لنفسه موقفا.

لقد اتخذ محمد سلماوي حله لاشكالية الإرهابي من لحظة التنوير التي وصل إليها محمد مع أسرة زهرة .. هذا التنوير الذي تمثل في الحوار المتبادل بالإقناع والحجة والبرهان إلى هزيمة المسدس. لقد رفض محمد بعد حبه لهذه

الأسرة أوامر أمير الجماعة، لقد اكتشف الحقيقة المضللة بأن هؤلاء الذين يكفرون المجتمع هم أنفسهم المفسدون .

هكذا استطاع محمد سلماوي استلهام قضية من قضايا وهموم الواقع الذي نعيشه كما يعيشه العالم كله. مؤكدا أن الدراما المسرحية لا تنفصل عن المجتمع وهمومه .. فلا شك أن هذا النص الدرامي حين قدم على خشبة المسرح قد لاقي نجاحا عظيما، كان رد فعل ما تقدمه المسرحية من دفع المتلقي إلى اتخاذ موقف سواء بالاتفاق أو الاختلاف فيما يطرحه المؤلف، والأمر الأهم هو مشاركة المتلقي في إدانة التطرف الإرهابي من خلال تلك الرسالة التنويرية لمسرحية "زهرة والجنزير".

لقد وضع المؤلف ظاهرة الإرهاب تحت بؤرة ضوئية لترسيخ الفهم والإدراك في عقل ووعي المتلقي نحو العنف الإرهابي، والبحث معا عن حلول أو رؤى أخرى لهذا الهم. فهذه الرؤى أو وجهات النظر التي يطرحها المبدعون في أعمالهم الدرامية هي الوظيفة التنويرية التي تتبناها الدراما لمشاكل المجتمع من أجل المصلحة العامة أنه المسرح الذي يعمل على إيقاظ الوعي الذي يبعث الأمل.

وأخيرا لقد أصبح الإرهاب قدرنا، وأصبح طرفا في الصراع ضد الأمن والسلام. هذا الصراع الذي يعتبر محور الدراما وجب على المبدعين إعلاء شأنه في أعمالهم الدرامية من أجل تحقيق ثقافة السلام والتسامح .

الخاتمـــة

أصبحت أصابع الاتهام في أوروبا وأمريكا الموجه ضد العرب والمسلمين بأنهم شعوب تنشر العنف والإرهاب، وأنهم أناس غير حضاريين ودمويين، وذاعت وسائل إعلامهم هذه الاتهامات وانتشرت من بضع سنين وأصبح هذا الاتهام يتعامل به كل غربي مع العرب والمسلمين. هذا الموقف المشين ضد العرب والدين الإسلامي أثار غيرة المؤلفة التي أخذت على عاتقها بالرد على هذه الاتهامات الباطلة دفاعا عن هويتنا العربية وعن ديننا الإسلامي دين التسامح والسلام، موجهة أصابع الاتهام إلى أوربا وأمريكا بأنهم هم عالم العنف والإرهاب الذي نبتا على أرضهما منذ قديم العصور .

لقد أعادت المؤلفة قراءة لبعض أعمال الدراما المسرحية التاريخية لشعوب الغرب، كاشفة من خلالها مواقفهم المستبدة الدموية على مستوى النبلاء والحكام والشعوب، مؤكدة بشهادة هذه الأعمال الدرامية الحية النابضة بالحياة والشخصيات أن أوربا وأمريكا هما جذور العنف الإرهابي في العالم وقد توارثت الأجيال منهم هذا العنف الدموي .

إن أوربا وأمريكا يحاولون تناسي هذا التاريخ الفاضح بالدموية وذلك بالتستر وراء المدنية والتحضر. ودعواه للسلام المزعوم .. ولكننا هنا نحن العرب والمسلمين أصحاب السلام الحقيقي فديننا دين التسامح الذي يدعو إلى الأمن والأمان بنشر ثقافة السلام بين الأفراد والمجتمعات من أجل التنمية والتحضر كما عرف العرب منذ قديم الزمن .

ولا شك أن دعوة السيدة " سوزان مبارك " للتمسك بالدعوة إلى ثقافة السلام هي دعوة تحتاج إليها الشعوب العالمية والعربية قد أطلقت في زمانها الحقيقي .

أولا المصادر :

١- مسرحية السلام : لثقافة الجماهيرية أسيوط .
٢- زهرة والجنزير : محمد سلماوي الهيئة العامة لكتاب ١٩٩٤ .

ثانيا المراجع الأساسية :

١- التنوع البشري الخلاق : تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية / ترجمة المشروع القومي للترجمة المجلس الأعلي للثقافة. القاهرة ١٩٩٧ ص ٨٥ .

٢- الإرهاب والمسرح الحديث : جون أور وآخرون ، ترجمة / أمين الرباط مركز اللغات والترجمة. أكاديمية الفنون القاهرة ١٩٩٦ المقدمة بتصريف .

٣- Chiffard leech Christopher Marlawe : Paet for the stage (New York) A.M.S. Press 1986 170 .

٤- المسرحية العالمية : تأليف / الأردايس نيكول. ترجمة : عثمان نويه . القاهرة . الدار القومية للتأليف والنشر ١٩٦٦ الجزء الثاني ص ٣٢ ، ٤٣ بتصريف .

٥- المرجع السابق ص ٣٥.

٦- المرجع السابق ص ٣٦ .

٧- الإرهاب والمسرح الحديث : مرجع سابق ص ٦ .

٨- Gerald Could, Trony and Satire in Henry VI in Shakespeare : Henry VI : A Casebook (Neshiville : Hurara 1970) 81.

٩- المسرحية العالمية الجزء الثاني : مرجع سابق ص ٣٧ .
١٠- Elia Halevy, The Eraf Tyran mies trans T.K. Webb (New York) New York University 1966) .266 .
١١- الإرهاب والمسرح الحديث ص ٨ مرجع سابق .
١٢- المرجع السابق ص ٨.
١٣- الإرهاب والمسرح ص ١٠.
١٤- Uniliam, C. Reeve , Geary Buchner (New York) .Ungar 1979
١٥- الإرهاب والمسرح ص ١٣ .
١٦- The Origins of Totalilarianism (Cleve land Meridian 1967) 355
١٧- The Days f the communes trans chins Bochr and Armo Reinfrank (London Eyre Methuen .1978.
١٨- الإرهاب والمسرح ص ٢٤ .
١٩- المرجع السابق ص ٢٥ .
٢٠- ضرورة الفن : ارفست فيشر. ترجم : ميشال سليمان. بيروت دار الحقيقة للنشر ص ١٠٦ ، ١١٠ بتصريف .
٢١- المسرح المعارض : بيتر أيدين. ترجمة : حامد أحمد غانم . مركز إصدارات المهرجان القاهرة التجريبي. الدورة ١٩٩٦/٨ ص ١٦ .
٢٢- المسرح في طريق مسدود. كارول روسين. ترجمة : محمد لطفي نوفل. إصدارات المهرجان التجريبي القاهرة . الدورة (١٢) ٢٠٠٠ ص ١٣٧ .

٢٣- المسرح المعارض : مرجع سابق ص ١٦ .
٢٤- المسرح المعارض . ص ١٧ بتصريف .
٢٥- المسرح في طريق مسدود : مرجع سابق : انظر الفصل الخامس .
٢٦- [1] Rabin Erica Wagner Pacifrici, The Maro Morality Play : Terrorism as Social Drama (Chicago : University of Chicago Press 1986) .
٢٧- انظر : السلام يقاوم الإرهاب : إسماعيل عبد الفتاح – وزارة الإعلام هيئة الاستعلامات سنة ٢٠٠٦ ص ١٦ .
٢٨- التنوع البشري الخلاق : مرجع سابق – المقدمة .
٢٩- المرجع السابق ص هـ .
٣٠- المرجع السابق ص ٤٥ ص ٤٦ .
٣١- الإرهاب والمسرح الحديث : مرجع سابق .
٣٢- المسرح بين الفن والحياة، نهاد صليحة ، الهيئة العامة لكتاب القاهرة ٢٠٠٠ ص ٨٥
٣٣- المسرح المعارض : مرجع سابق .
٣٤- المرجع السابق ص ٢٧ .
٣٥- المسرح المعارض . ص ٢٣.
٣٦- الإرهاب والمسرح : مرجع سابق المقدمة .
٣٧- المسرحية العالمية : الجزء الأول ص ١٢٧ .
٣٨- زهرة والجنزير : محمد سلماوي . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ص ٥١ .